القصة

قصة تعاملات الله مع الإنسان

www.christianlib.com

جميع النصوص مأخوذة من الترجمة العربية للكتاب المقدس

٢٢

ميلاد الملك

في البَدءِ كانَ الكلِمَةُ، والكلِمَةُ كانَ عِندَ اللهِ، وكانَ الكلِمَةُ اللهَ. هذا كانَ في البَدءِ عِندَ اللهِ. كُلُّ شَيءٍ بِهِ كانَ، وبغَيرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيءٌ مِمّا كانَ. فيهِ كانتِ الحياةُ، والحياةُ كانتْ نورَ النّاسِ، والنّورُ يُضيءُ في الظُّلمَةِ، والظُّلمَةُ لَمْ تُدرِكهُ.

كانَ إنسانٌ مُرسَلٌ مِنَ اللهِ اسمُهُ يوحَنا. هذا جاءَ للشَّهادَةِ ليَشهَدَ للنّورِ، لكَيْ يؤمِنَ الكُلُّ بواسِطَتِهِ. لَمْ يَكُنْ هو النّورَ، بل ليَشهَدَ للنّورِ. كانَ النّورُ الحَقيقيُّ الّذي يُنيرُ كُلَّ إنسانٍ آتيًا إلَى العالَمِ. كانَ في العالَمِ، وكوِّنَ العالَمُ بهِ، ولَمْ يَعرِفهُ العالَمُ. إلَى خاصَّتِهِ (أمته، شعبه) جاءَ، وخاصَّتُهُ لَمْ تقبَلهُ. وأمّا كُلُّ الّذينَ قَبِلوهُ فأعطاهُمْ سُلطانًا (امتيازًا) أنْ يَصيروا أولادَ اللهِ، أيِ المؤمِنونَ باسمِهِ. الذينَ وُلِدوا ليس مِنْ دَمٍ، ولا مِنْ مَشيئَةِ جَسَدٍ، ولا مِنْ مَشيئَةِ رَجُلٍ، بل مِنَ اللهِ.

والكلِمَةُ صارَ جَسَدًا وحَلَّ بَينَنا (سكن وسطنا)، ورأينا مَجدَهُ، مَجدًا

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

كما لوَحيدٍ مِنَ الآبِ، مَملوءًا نِعمَةً[1] وحَقًّا. يوحَنا شَهِدَ لهُ ونادَى قائلًا: «هذا هو الّذي قُلتُ عنهُ: إنَّ الّذي يأتي بَعدي صارَ قُدّامي، لأنَّهُ كانَ قَبلي». ومِنْ مِلئِهِ نَحنُ جميعًا أخَذنا، ونِعمَةً فوقَ نِعمَةٍ. لأنَّ النّاموسَ بموسَى أُعطيَ، أمّا النِّعمَةُ والحَقُّ فبيَسوعَ المَسيحِ صارا. اللهُ لَمْ يَرَهُ أحَدٌ قَطُّ. الِابنُ الوَحيدُ الّذي هو في حِضنِ الآبِ هو خَبَّرَ (أخبرنا).

أُرسِلَ جِبرائيلُ المَلاكُ مِنَ اللهِ إلَى مدينةٍ مِنَ الجَليلِ اسمُها ناصِرَةُ، إلَى عَذراءَ مَخطوبَةٍ لرَجُلٍ مِنْ بَيتِ (نسل) داوُدَ اسمُهُ يوسُفُ. واسمُ العَذراءِ مَريَمُ. فدَخَلَ إليها المَلاكُ وقالَ: «سلامٌ لكِ أيَّتُها المُنعَمُ علَيها! الرَّبُّ معكِ.

فلَمّا رأتهُ اضطَرَبَتْ مِنْ كلامِهِ، وفكَّرَتْ: «ما عَسَى أنْ تكونَ هذِهِ التَّحيَّةُ!». فقالَ لها المَلاكُ: «لا تخافي يا مَريَمُ، لأنَّكِ قد وجَدتِ نِعمَةً عِندَ اللهِ. وها أنتِ ستَحبَلينَ وتَلِدينَ ابنًا وتُسَمّينَهُ يَسوعَ. هذا يكونُ عظيمًا، وابنَ العَليِّ يُدعَى، ويُعطيهِ الرَّبُّ الإلهُ كُرسيَّ داوُدَ أبيهِ، ويَملِكُ علَى بَيتِ يعقوبَ إلَى الأبدِ، ولا يكونُ لمُلكِهِ نِهايَةٌ».

فقالَتْ مَريَمُ للمَلاكِ: «كيفَ يكونُ هذا وأنا لَستُ أعرفُ رَجُلًا (غير متزوجة)؟». فأجابَ المَلاكُ وقالَ لها: «الرّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ علَيكِ، وقوَّةُ العَليِّ تُظَلِّلُكِ، فلذلكَ أيضًا القُدّوسُ المَوْلودُ مِنكِ يُدعَى ابنَ اللهِ.

فقالَتْ مَريَمُ: «هوذا أنا أمَةُ (خادمة) الرَّبِّ. ليَكُنْ لي كقَوْلِكَ». فمَضَى مِنْ عِندِها المَلاكُ.

فقالَتْ مَريَمُ:

«تُعَظِّمُ نَفسي الرَّبَّ،

---

١ نعمة: النعمة هي امتياز وبركة غير مستحقة. وفي العهد الجديد تشير هذه الكلمة عادة إلى الغفران غير المستحق من دينونة الخطية بيسوع المسيح.

وتَبتَهِجُ روحي باللهِ مُخَلِّصي[٢]،
لأنَّهُ نَظَرَ إلَى اتِّضاعِ أمَتِهِ.
فهوذا منذُ الآنَ جميعُ الأجيالِ تُطَوِّبُني،
لأنَّ القديرَ صَنَعَ بي عَظائمَ، واسمُهُ قُدّوسٌ،
ورَحمَتُهُ إلَى جيلِ الأجيالِ للّذينَ يتَّقونَهُ.
صَنَعَ قوَّةً بذِراعِهِ.
شَتَّتَ المُستَكبِرينَ بفِكرِ قُلوبِهِمْ.
أنزَلَ الأعِزّاءَ (الأقوياء) عن الكَراسيِّ ورَفَعَ المُتَّضِعينَ.
أشبَعَ الجياعَ خَيراتٍ
وصَرَفَ الأغنياءَ فارِغينَ.
عَضَدَ (ساعد) إسرائيلَ فتاهُ (عبده) ليَذكُرَ رَحمَةً،
كما كلَّمَ آباءَنا. لإبراهيمَ ونَسلِهِ إلَى الأبدِ».

كيف لمريم وهي عذراء أن تصير حُبلى؟ فهي كانت مخطوبة ليوسف ولكنهما لم يتزوجا. فلا يمكن لأي طبيب أن يجيب عن هذا التساؤل.

لكن هذا كان طبيعة اللغز الغامض لحَبَل مريم العذراء وولادة يسوع منها بقوة الله. تخيل مشكلة العذراء مريم إذا افترضنا أنها حاولت شرح ما حدث لها، والذي لا يمكن تصديقه. فهي نفسها لم تستطع استيعاب الأمر، فكيف لها أن توضحه لأسرتها ولمَن حولها؟!

رغم أن يوسف ومريم لم يكونا قد تزوجا، ولأنه كان معروفًا في تلك الأيام أن الخطبة لها نفس جدية ارتباط الزواج. لذلك فقد كان

٢ مخلّصي: المخلّص هو الذي ينقذ او يشفي. ويسوع المسيح قد أُعلن باعتباره مخلّصًا ينقذ شعبه من الخطية والدينونة الأبدية.

موقف يوسف صعبًا، فهو خطيب ومسئول عن فتاة سوف يُنظر إليها بارتياب. لذلك قرر يوسف أن أفضل شيء هو أن يفسخ الخطبة سرًا، حتى جاءه زائر غير متوقع، غيّر فكره.

فيوسُفُ رَجُلُها (خطيبها) إذ كانَ بارًّا، ولَمْ يَشأْ أنْ يُشهِرَها (يفضحها)، أرادَ تخليَتَها (فسخ الخطبة) سِرًّا. ولكن فيما هو مُتفكِّرٌ في هذِهِ الأُمورِ، إذا مَلاكُ الرَّبِّ قد ظَهَرَ لهُ في حُلمٍ قائلًا: «يا يوسُفُ ابنَ داوُدَ، لا تخَفْ أنْ تأخُذَ مَريَمَ امرأتكَ. لأنَّ الّذي حُبِلَ بهِ فيها هو مِنَ الرّوحِ القُدُسِ. فستَلِدُ ابنًا وتَدعو اسمَهُ يَسوعَ. لأنَّهُ يُخَلِّصُ شَعبَهُ مِنْ خطاياهُمْ». وهذا كُلُّهُ كانَ لكَيْ يتِمَّ ما قيلَ مِنَ الرَّبِّ بالنَّبيِّ القائلِ: «هوذا العَذراءُ تحبَلُ وتَلِدُ ابنًا، ويَدعونَ اسمَهُ عِمّانوئيلَ» الّذي تفسيرُهُ: اللهُ معنا.

فلَمّا استَيقَظَ يوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فعَلَ كما أمَرَهُ مَلاكُ الرَّبِّ، وأخَذَ امرأتَهُ.

وفي تِلكَ الأيّامِ صَدَرَ أمرٌ مِنْ أوغُسطُسَ قَيصَرَ بأنْ يُكتَبَ (يُقيد اسماء) كُلُّ المَسكونَةِ. وهذا الإكتِتابُ (تعداد السكان) الأوَّلُ جَرَى إذ كانَ كيرينيوسُ واليَ سوريَّةَ. فذَهَبَ الجميعُ ليُكتَتَبوا، كُلُّ واحِدٍ إلَى مَدينَتِهِ. فصَعِدَ يوسُفُ أيضًا مِنَ الجَليلِ مِنْ مدينةِ النّاصِرَةِ إلَى اليَهوديَّةِ، إلَى مدينةِ داوُدَ الّتي تُدعَى بَيتَ لَحمٍ، لكَوْنِهِ مِنْ بَيتِ داوُدَ وعَشيرَتِهِ، ليُكتَتَبَ مع مَريَمَ امرأتِهِ المَخطوبَةِ وهي حُبلَى. وبَينَما هُما هناكَ تمَّتْ أيّامُها لتَلِدَ. فوَلَدَتِ ابنَها البِكرَ وقَمَّطَتهُ (لفته بأقمشة) وأضجَعَتهُ في المِذوَدِ، إذ لَمْ يَكُنْ لهُما مَوْضِعٌ في المَنزِلِ.

وكانَ في تِلكَ الكورَةِ (المنطقة) رُعاةٌ مُتَبَدّينَ (في البادية أي الصحراء)

يَحرُسونَ حِراساتِ اللَّيلِ علَى رَعيَّتِهِمْ، وإذا مَلاكُ الرَّبِّ وقَفَ بِهِمْ، ومَجدُ الرَّبِّ أضاءَ حَوْلَهُمْ، فخافوا خَوْفًا عظيمًا. فقالَ لَهُمُ المَلاكُ: «لا تخافوا! فها أنا أُبشِّرُكُمْ بفَرَحٍ عظيمٍ[٣] يكونُ لجميعِ الشَّعبِ: أنَّهُ وُلِدَ لكُمُ اليومَ في مدينةِ داوُدَ مُخَلِّصٌ هو المَسيحُ الرَّبُّ. وهذِهِ لكُمُ العَلامَةُ: تجِدونَ طِفلًا مُقَمَّطًا مُضجَعًا في مِذوَدٍ». وظَهَرَ بَغتَةً مع المَلاكِ جُمهورٌ مِنَ الجُندِ السماويِّ (الملائكة) مُسَبِّحينَ اللهَ وقائلينَ:

«المَجدُ للهِ في الأعالي،

وعلَى الأرضِ السَّلامُ،

وبالناسِ المَسَرَّةُ».

ولَمّا مَضَتْ عنهُمُ المَلائكَةُ إلَى السماءِ، قالَ الرِّجالُ الرُّعاةُ بَعضُهُمْ لبَعضٍ: «لنَذهَبِ الآنَ إلَى بَيتِ لَحمٍ ونَنظُرْ هذا الأمرَ الواقِعَ الّذي أعلَمَنا بِهِ الرَّبُّ». فجاءوا مُسرِعينَ، ووجَدوا مَريَمَ ويوسُفَ والطِّفلَ مُضجَعًا في المِذوَدِ. فلَمّا رأوهُ أخبَروا بالكلامِ الّذي قيلَ لَهُمْ عن هذا الصَّبيِّ. وكُلُّ الّذينَ سمِعوا تعَجَّبوا مِمّا قيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعاةِ. وأمّا مَريَمُ فكانتْ تحفَظُ جميعَ هذا الكلامِ مُتَفكِّرَةً بِهِ في قَلبِها. ثُمَّ رَجَعَ الرُّعاةُ وهُم يُمَجِّدونَ اللهَ ويُسَبِّحونَهُ علَى كُلِّ ما سمِعوهُ ورأوهُ كما قيلَ لَهُمْ.

قرر يوسف ومريم أن يظلا في بيت لحم بعد ولادة الطفل يسوع. ولأنهما كانا ملتزمين بشريعة موسى، قاما بالذهاب إلى أورشليم لختان الطفل في اليوم الثامن لولادته. وهناك قام اثنان من القديسين المتقدمين في العمر بتهنئتهما، هما سمعان وحنة،

٣ أبشركم بفرح عظيم: هي الترجمة الحرفية لكلمة "إنجيل"، وهي الكلمة التي تشير إلى الرسالة التي تعلن أن يسوع قد جاء ليصالح البشرية مع الله. هذه البشارة تعني أن كل إنسان يمكنه أن يقبل هذه العطية ويدخل في علاقة شخصية مع الله، بدون أن يكون مستحقًا لهذه العطية.

اللذان أعطاهما الرب الفرصة لكي يريا ويدركا المسيا قبل نهاية عمرهما. ولم يكن سمعان وحنة وحدهما اللذين أدركا الطبيعة الخاصة للطفل يسوع.

ولَمّا وُلِدَ يَسوعُ في بَيتِ لَحمِ اليَهوديَّةِ، في أيّامِ هيرودُسَ المَلِكِ، إذا مَجوسٌ[٤] مِنَ المَشرِقِ قد جاءوا إلَى أورُشَليمَ قائلينَ: «أين هو المَوْلودُ مَلِكُ اليَهودِ؟ فإنَّنا رأينا نَجمَهُ في المَشرِقِ وأتَينا لنَسجُدَ لهُ». فلَمّا سمِعَ هيرودُسُ المَلِكُ اضطَرَبَ وجميعُ أورُشَليمَ معهُ. فجَمَعَ كُلَّ رؤَساءِ الكهنةِ وكتَبَةِ (معلمو الشريعة) الشَّعبِ، وسألَهُمْ: «أين يولَدُ المَسيحُ؟». فقالوا لهُ: «في بَيتِ لَحمِ اليَهوديَّةِ. لأنَّهُ هكذا مَكتوبٌ بالنَّبيِّ:

وأنتِ يا بَيتَ لَحمٍ، أرضَ يَهوذا،
لَستِ الصُّغرَى بَينَ رؤَساءِ يَهوذا،
لأنْ مِنكِ يَخرُجُ مُدَبِّرٌ
يَرعَى شَعبي إسرائيلَ».

حينَئذٍ دَعا هيرودُسُ المَجوسَ سِرًّا، وتَحَقَّقَ مِنهُمْ زَمانَ (وقت ظهور) النَّجمِ الّذي ظَهَرَ. ثُمَّ أرسَلَهُمْ إلَى بَيتِ لَحمٍ، وقالَ: «اذهَبوا وافحَصوا بالتَّدقيقِ عن الصَّبيِّ. ومَتَى وجَدتُموهُ فأخبِروني، لكَيْ آتيَ أنا أيضًا وأسجُدَ لهُ». فلَمّا سمِعوا مِنَ المَلِكِ ذَهَبوا. وإذا النَّجمُ الّذي رأوهُ في المَشرِقِ يتَقَدَّمُهُمْ حتَّى جاءَ ووقَفَ فوقُ، حَيثُ كانَ الصَّبيُّ. فلَمّا رأوا النَّجمَ فرِحوا فرَحًا عظيمًا جِدًّا. وأتَوْا إلَى البَيتِ، ورأوا الصَّبيَّ مع مَريَمَ أُمِّهِ. فخَرّوا وسَجَدوا لهُ. ثُمَّ فتحوا كُنوزَهُمْ وقَدَّموا لهُ هَدايا: ذَهَبًا

---

٤ مجوس: حكماء وعلماء في الفلك.

ولُبانًا ومُرًّا. ثُمَّ إذ أوحيَ إليهِمْ في حُلمٍ أنْ لا يَرجِعوا إلَى هيرودُسَ، انصَرَفوا في طَريقٍ أُخرَى إلَى كورَتِهِمْ.

وبَعدَما انصَرَفوا، إذا مَلاكُ الرَّبِّ قد ظَهَرَ ليوسُفَ في حُلمٍ قائلًا: «قُمْ وخُذِ الصَّبيَّ وأُمَّهُ واهرُبْ إلَى مِصرَ، وكُنْ هناكَ حتَّى أقولَ لكَ. لأنَّ هيرودُسَ مُزمِعٌ أنْ يَطلُبَ الصَّبيَّ ليُهلِكَهُ». فقامَ وأخَذَ الصَّبيَّ وأُمَّهُ ليلًا وانصَرَفَ إلَى مِصرَ. وكانَ هناكَ إلَى وفاةِ هيرودُسَ. لكَيْ يتِمَّ ما قيلَ مِنَ الرَّبِّ بالنَّبيِّ القائلِ: «مِنْ مِصرَ دَعَوْتُ ابني».

حينَئذٍ لَمّا رأى هيرودُسُ أنَّ المَجوسَ سخِروا بهِ غَضِبَ جِدًّا. فأرسَلَ وقَتلَ جميعَ الصِّبيانِ الّذينَ في بَيتِ لَحمٍ وفي كُلِّ تُخومِها (حدودها)، مِنِ ابنِ سنَتينِ فما دونُ، بحَسَبِ الزَّمانِ الّذي تحَقَّقَهُ مِنَ المَجوسِ. حينَئذٍ تمَّ ما قيلَ بإرميا النَّبيِّ القائلِ:

«صوتٌ سُمِعَ في الرّامَةِ،
نَوْحٌ وبُكاءٌ وعَويلٌ كثيرٌ.
راحيلُ تبكي علَى أولادِها
ولا تُريدُ أنْ تتعَزَّى،
لأنَّهُمْ لَيسوا بمَوْجودينَ».

فلَمّا ماتَ هيرودُسُ، إذا مَلاكُ الرَّبِّ قد ظَهَرَ في حُلمٍ ليوسُفَ في مِصرَ قائلًا: «قُمْ وخُذِ الصَّبيَّ وأُمَّهُ واذهَبْ إلَى أرضِ إسرائيلَ، لأنَّهُ قد ماتَ الّذينَ كانوا يَطلُبونَ نَفسَ الصَّبيِّ». فقامَ وأخَذَ الصَّبيَّ وأُمَّهُ وجاءَ إلَى أرضِ إسرائيلَ. ولكن لَمّا سمِعَ أنَّ أرخيلاوُسَ يَملِكُ علَى اليَهوديَّةِ عِوَضًا عن هيرودُسَ أبيهِ، خافَ أنْ يَذهَبَ إلَى هناكَ. وإذ أوحيَ إليهِ في حُلمٍ، انصَرَفَ إلَى نَواحي الجَليلِ. وأتَى وسَكَنَ في مدينةٍ يُقالُ لها ناصِرَةُ، لكَيْ يتِمَّ ما قيلَ بالأنبياءِ: «إنَّهُ سيُدعَى ناصِريًّا».

لا نعرف شيئًا عن حياة الصبي يسوع، حتى ظهوره في أورشليم وعمره ١٢ سنة. فربما يكون قد تعلم حرفة النجارة من يوسف، وتلقى تعليمًا دينيًا في المَجمع. لكن ما نعرفه هو أنه كان ينمو في الحكمة بجانب نموه الجسدي والروحي. فحينما كان لا يزال صبيًا استطاع بعقله المستنير أن يدخل في نقاش مع قادة المَجمع، حتى أنه في مرة لم ينتبه لمرور الوقت وهو منهمك في الاستماع والنقاش معهم.

وكانَ أبَواهُ يَذهَبانِ كُلَّ سنَةٍ إلَى أورُشَليمَ في عيدِ الفِصحِ. ولَمّا كانتْ لهُ اثنَتا عَشرَةَ سنَةً صَعِدوا إلَى أورُشَليمَ كعادَةِ العيدِ. وبَعدَما أكمَلوا الأيّامَ بَقيَ عِندَ رُجوعِهِما الصَّبيُّ يَسوعُ في أورُشَليمَ، ويوسُفُ وأُمُّهُ لَمْ يَعلَما. وإذ ظَنّاهُ بَينَ الرُّفقَةِ، ذَهَبا مَسيرَةَ يومٍ، وكانا يَطلُبانِهِ بَينَ الأقرِباءِ والمَعارِفِ. ولَمّا لَمْ يَجِداهُ رَجَعا إلَى أورُشَليمَ يَطلُبانِهِ. وبَعدَ ثَلاثَةِ أيّام وجَداهُ في الهَيكلِ، جالِسًا في وسطِ المُعَلِّمينَ، يَسمَعُهُمْ ويَسأَلُهُمْ. وكُلُّ الّذينَ سمِعوهُ بُهِتوا مِنْ فهمِهِ وأجوِبَتِهِ. فلَمّا أبصَراهُ اندَهَشا. وقالَتْ لهُ أُمُّهُ: «يا بُنَيَّ، لماذا فعَلتَ بنا هكذا؟ هوذا أبوكَ وأنا كُنّا نَطلُبُكَ مُعَذَّبَينِ!» فقالَ لهُما: «لماذا كُنتُما تطلُبانِني؟ ألَمْ تعلَما أنَّهُ يَنبَغي أنْ أكونَ في ما لأبي؟». فلَمْ يَفهَما الكلامَ الّذي قالهُ لهُما. ثُمَّ نَزلَ معهُما وجاءَ إلَى النّاصِرَةِ وكانَ خاضِعًا لهُما. وكانتْ أُمُّهُ تحفَظُ جميعَ هذِهِ الأُمورِ في قَلبِها. وأمّا يَسوعُ فكانَ يتَقَدَّمُ في الحِكمَةِ والقامَةِ والنِّعمَةِ، عِندَ اللهِ والنّاسِ.

مَن هو يسوع هذا؟ هل هو نبي جديد؟ أم معلّم عظيم للشريعة؟ ربما زعيم سياسي له شخصية قيادية يستطيع أن يقاوم السلطة

الرومانية الظالمة التي تحتل اليهودية ليجعلها ترحل؟ كل هذه التوقعات لم تستطع أن تصف لنا بدقة مَن هو يسوع. وفي الحقيقة فإن الرب يسوع نفسه تحدّى كل توقعات الناس حتى أنهم كلما كانوا يروه أو يتقابلون معه كانوا يزدادون تعجبًا وحيرة.

يسوع

كتاب ميلاد يسوع المسيح

ابن داود

ابن إبراهيم:

إبراهيم ولد إسحاق.

وإسحاق ولد يعقوب.

ويعقوب ولد يهوذا وإخوته.

ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار.

وفارص ولد حصرون.

وحصرون ولد أرام.

وأرام ولد عميناداب.

وعميناداب ولد نحشون.

ونحشون ولد سلمون.

وسلمون ولد بوعز من راحاب.

وبوعز ولد عوبيد من راعوث.

وعوبيد ولد يسى.

ويسى ولد داود الملك.

وداود الملك ولد سليمان من التي لأوريا.

وسليمان ولد رحبعام.

ورحبعام ولد أبيا.

وأبيا ولد آسا.

وآسا ولد يهوشافاط.

ويهوشافاط ولد يورام.

ويورام ولد عزيا.

وعزيا ولد يوثام.

ويوثام ولد أحاز.

وأحاز ولد حزقيا.

وحزقيا ولد منسى.

ومنسى ولد آمون.

وآمون ولد يوشيا.

ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عند سبي بابل.

وبعد سبي بابل يكنيا ولد شألتئيل.

وشألتئيل ولد زربابل.

وزربابل ولد أبيهود.

وأبيهود ولد أليا قيم.

وأليا قيم ولد عازور.

وعازور ولد صادوق.

وصادوق ولد أخيم.

وأخيم ولد أليود.

وأليود ولد أليعازر.

وأليعازر ولد متان.

ومتان ولد يعقوب.

ويعقوب ولد يوسف رجل مريم

التي ولد منها **يسوع**

الذي يدعى المسيح.

٢٣

بدء خدمة يسوع

تخيل أنك ستقدم مخلّص العالم للناس، فهل ستقدمه في احتفالية كبرى، وتدعوا وسائل الإعلام، وتسلط الضوء على المشاهير الذين حضروا؟

هل ستأتي ببساط أحمر ليسير عليه مخلّص العالم؟ وتقوم بجذب انتباه الجماهير إليه؟

الله لا يعمل بهذه الطريقة. فخطة الله أن مَن يقدم ابنه إلى العالم يكون نبيًا بسيطًا متقشفًا اسمه يوحنا المعمدان. ويوحنا هو ابن أليصابات قريبة العذراء مريم، وهو الذي تنبأ عنه الأنبياء بأنه "سيأتي قبل المسيا بروح وقوة إيليا".

لقد كان يوحنا متفردًا بين الأنبياء، إذ عاش بعيدًا عن الإطار الديني المعتاد. ومع هذا فإن رسالته جاءت في التوقيت المناسب.

وفي تِلكَ الأيّامِ جاءَ يوحَنا المَعمَدانُ يَكرِزُ في بَرّيَّةِ اليَهوديَّةِ قائلاً: «توبوا، لأنَّهُ قد اقتَرَبَ ملكوتُ السماواتِ.

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

ويوحَنا هذا كانَ لباسُهُ مِنْ وبَرِ الإبِلِ، وعلَى حَقوَيهِ (خصره أو وسطه) مِنطَقَةٌ (حزام) مِنْ جِلدٍ. وكانَ طَعامُهُ جَرادًا وعَسَلاً بَرّيًّا. حينَئذٍ خرجَ إليهِ أورُشَليمُ وكُلُّ اليَهوديَّةِ وجميعُ الكورَةِ (البلدان) المُحيطَةِ بالأُردُنِّ، واعتَمَدوا[1] مِنهُ في الأُردُنِّ، مُعتَرِفينَ بخطاياهُمْ.

حينَئذٍ جاءَ يَسوعُ مِنَ الجَليلِ إلَى الأُردُنِّ إلَى يوحَنا ليَعتَمِدَ مِنهُ. ولكن يوحَنا مَنَعَهُ قائلًا: «أنا مُحتاجٌ أنْ أعتَمِدَ مِنكَ، وأنتَ تأتي إلَيَّ!». فأجابَ يَسوعُ وقالَ لهُ: «اسمَح الآنَ، لأنَّهُ هكذا يَليقُ بنا أنْ نُكَمِّلَ كُلَّ برٍّ». حينَئذٍ سمَحَ لهُ. فلَمّا اعتَمَدَ يَسوعُ صَعِدَ للوقتِ مِنَ الماءِ، وإذا السماواتُ قد انفتَحَتْ لهُ، فرأى روحَ اللهِ نازِلًا مِثلَ حَمامَةٍ وآتيًا علَيهِ، وصوتٌ مِنَ السماواتِ قائلًا: «هذا هو ابني الحَبيبُ الّذي بهِ سُرِرتُ».

ثُمَّ أُصعِدَ يَسوعُ إلَى البَرّيَّةِ مِنَ الرّوحِ ليُجَرَّبَ مِنْ إبليسَ. فبَعدَ ما صامَ أربَعينَ نهارًا وأربَعينَ ليلَةً، جاعَ أخيرًا. فتقَدَّمَ إليهِ المُجَرِّبُ وقالَ لهُ: «إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ فقُلْ أنْ تصيرَ هذِهِ الحِجارَةُ خُبزًا». فأجابَ وقالَ: «مَكتوبٌ:

ليس بالخُبزِ وحدَهُ يَحيا الإنسانُ، بل بكُلِّ كلِمَةٍ تخرُجُ مِنْ فمِ اللهِ».

ثُمَّ أخَذَهُ إبليسُ إلَى المدينةِ المُقَدَّسَةِ، وأوقَفَهُ علَى جَناحِ الهَيكلِ، وقالَ لهُ: «إنْ كُنتَ ابنَ اللهِ فاطرَحْ نَفسَكَ إلَى أسفَلُ، لأنَّهُ مَكتوبٌ:

أنَّهُ يوصي مَلائكَتَهُ بكَ،

فعلَى أياديهِمْ يَحمِلونَكَ

لكَيْ لا تصدِمَ بحَجَرٍ رِجلكَ».

---

١ اعتمدوا، معمودية: ممارسة مسيحية تدل على أن المؤمنين الجدد قد تركوا طرقهم السابقة وبدأوا الحياة الجديدة.

قالَ لهُ يَسوعُ: «مَكتوبٌ أيضًا: لا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إلهَكَ».

ثُمَّ أخَذَهُ أيضًا إبليسُ إلَى جَبَلٍ عالٍ جِدًّا، وأراهُ جميعَ مَمالِكِ العالَم ومَجدَها، وقالَ لهُ: «أُعطيكَ هذِهِ جميعَها إنْ خَرَرتَ (ركعت) وسَجَدتَ لي». حينَئذٍ قالَ لهُ يَسوعُ: «اذهَبْ يا شَيطانُ! لأنَّهُ مَكتوبٌ:

للرَّبِّ إلهِكَ تسجُدُ وإيّاهُ وحدَهُ تعبُدُ».

ثُمَّ تركَهُ إبليسُ، وإذا مَلائكَةٌ قد جاءَتْ فصارَتْ تخدِمُهُ.

بعد التجربة في البرية، بدأ الرب يسوع خدمته العلنية. واستمر يوحنا المعمدان في الشهادة عنه، موضحًا أن فيه تتحقق كل مواعيد الله. وكان هذا أمرًا مؤرقًا لكل القادة الدينيين، الذين طلبوا من يوحنا أن يكون أكثر وضوحًا ويقول لهم مَن يكون.

تخيل مجموعة من أمهر العارفين بالشريعة وهم يستجوبون رجلًا كهذا، خشنًا ومتقشفًا، رجلاً ليس لديه أوراق اعتماد أو تفويض رسمي. وبدأ الاستجواب.

وهذِهِ هي شَهادَةُ يوحَنا، حينَ أرسَلَ اليَهودُ مِنْ أورُشَليمَ كهَنَةً ولاويّينَ ليَسألوهُ: «مَنْ أنتَ؟». فاعتَرَفَ ولَمْ يُنكِرْ، وأقَرَّ: «إنّي لَستُ أنا المَسيحَ».

فسألوهُ: «إذًا ماذا؟ إيليّا أنتَ؟».

فقالَ: «لَستُ أنا».

«ألنَّبيُّ أنتَ؟».

فأجابَ: «لا».

فقالوا لهُ: «مَنْ أنتَ، لنُعطيَ جَوابًا للّذينَ أرسَلونا؟ ماذا تقولُ عن نَفسِكَ؟». قالَ: «أنا صوتُ صارِخٍ في البَرّيَّةِ: قَوِّموا طريقَ الرَّبِّ، كما

قالَ إشَعياءُ النَّبيُّ». وكانَ المُرسَلونَ مِنَ الفَرّيسيّينَ[٢]، فسألوهُ وقالوا لهُ: «فما بالُكَ تُعَمِّدُ إنْ كُنتَ لَستَ المَسيحَ، ولا إيليّا، ولا النَّبيَّ؟». أجابَهُمْ يوحَنا قائلًا: «أنا أُعَمِّدُ بماءٍ، ولكن في وسطِكُمْ قائمٌ الّذي لَستُمْ تعرِفونَهُ. هو الّذي يأتي بَعدي، الّذي صارَ قُدّامي، الّذي لَستُ بمُستَحِقٍّ أنْ أحُلَّ سُيورَ حِذائِهِ». هذا كانَ في بَيتِ عَبرَةَ في عَبرِ الأُردُنِّ حَيثُ كانَ يوحَنا يُعَمِّدُ.

وفي الغَدِ نَظَرَ يوحَنا يَسوعَ مُقبِلًا إليهِ، فقالَ: «هوذا حَمَلُ اللهِ[٣] الّذي يَرفَعُ (يحمل) خَطيَّةَ العالَمِ! هذا هو الّذي قُلتُ عنهُ: يأتي بَعدي، رَجُلٌ صارَ قُدّامي، لأنَّهُ كانَ قَبلي. وأنا لَمْ أكُنْ أعرِفُهُ. لكن ليُظهَرَ لإسرائيلَ لذلكَ جِئتُ أُعَمِّدُ بالماءِ». وشَهِدَ يوحَنا قائلًا: «إنّي قد رأيتُ الرّوحَ نازِلًا مِثلَ حَمامَةٍ مِنَ السماءِ فاستَقَرَّ علَيهِ. وأنا لَمْ أكُنْ أعرِفُهُ، لكن الّذي أرسَلَني لأُعَمِّدَ بالماءِ، ذاكَ قالَ لي: الّذي ترَى الرّوحَ نازِلًا ومُستَقِرًّا علَيهِ، فهذا هو الّذي يُعَمِّدُ بالرّوحِ القُدُسِ. وأنا قد رأيتُ وشَهِدتُ أنَّ هذا هو ابنُ اللهِ».

وفي الغَدِ أيضًا كانَ يوحَنا واقِفًا هو واثنانِ مِنْ تلاميذِهِ، فنَظَرَ إلَى يَسوعَ ماشيًا، فقالَ: «هوذا حَمَلُ اللهِ!». فسمِعَهُ التِّلميذانِ يتَكلَّمُ، فتبِعا يَسوعَ. فالتَفَتَ يَسوعُ ونَظَرَهُما يتبَعانِ، فقالَ لهُما: «ماذا تطلُبانِ؟». فقالا: «رَبّي» الّذي تفسيرُهُ: يا مُعَلِّمُ. «أين تمكُثُ؟». فقالَ لهُما: «تعالَيا وانظُرا». فأتَيا ونَظَرا أين كانَ يَمكُثُ، ومَكَثا عِندَهُ ذلكَ اليومَ. وكانَ نَحوَ السّاعَةِ العاشِرَةِ (الرابعة بعد الظهر).

كانَ أندَراوُسُ أخو سِمعانَ بُطرُسَ واحِدًا مِنَ الإثنَينِ اللَّذَينِ سمِعا

---

٢ الفريسيين: أقوى مجموعة في السلطة الدينية في اليهودية. وكان أهم عمل لهم هو تفسير الشريعة الإلهية. وكثيرًا ما كانوا يجادلون الرب يسوع بخصوص هذه التعاليم.

٣ حمل الله: أحد أسماء الرب يسوع، الذي يُظهر العلاقة بين موت يسوع الكفاري وذبائح العهد القديم.

يوحَنا وتَبِعاهُ. هذا وجَدَ أوَّلًا أخاهُ سِمعانَ، فقالَ لهُ: «قد وجَدنا مَسيّا» الّذي تفسيرُهُ: المَسيحُ. فجاءَ بهِ إلَى يَسوعَ. فنَظَرَ إليهِ يَسوعُ وقالَ: «أنتَ سِمعانُ بنُ يونا. أنتَ تُدعَى صَفا» الّذي تفسيرُهُ: بُطرُسُ[٤].

في الغَدِ أرادَ يَسوعُ أنْ يَخرُجَ إلَى الجَليلِ، فوَجَدَ فيلُبُّسَ فقالَ لهُ: «اتبَعني». وكانَ فيلُبُّسُ مِنْ بَيتِ صَيدا، مِنْ مدينةِ أندَراوُسَ وبُطرُسَ. فيلُبُّسُ وجَدَ نَثَنائيلَ وقالَ لهُ: «وجَدنا الّذي كتَبَ عنهُ موسَى في النّاموسِ والأنبياءُ يَسوعَ ابنَ يوسُفَ الّذي مِنَ النّاصِرَةِ». فقالَ لهُ نَثَنائيلُ: «أمِنَ النّاصِرَةِ يُمكِنُ أنْ يكونَ شَيءٌ صالِحٌ؟». قالَ لهُ فيلُبُّسُ: «تعالَ وانظُرْ».

ورأى يَسوعُ نَثَنائيلَ مُقبِلًا إليهِ، فقالَ عنهُ: «هوذا إسرائيليٌّ حَقًّا لا غِشَّ فيهِ». قالَ لهُ نَثَنائيلُ: «مِنْ أين تعرِفُني؟». أجابَ يَسوعُ وقالَ لهُ: «قَبلَ أنْ دَعاكَ فيلُبُّسُ وأنتَ تحتَ التّينَةِ، رأيتُكَ». أجابَ نَثَنائيلُ وقالَ لهُ: «يا مُعَلِّمُ، أنتَ ابنُ اللهِ! أنتَ مَلِكُ إسرائيلَ!». أجابَ يَسوعُ وقالَ لهُ: «هل آمَنتَ لأنّي قُلتُ لكَ إنّي رأيتُكَ تحتَ التّينَةِ؟ سوفَ ترَى أعظَمَ مِنْ هذا!». وقالَ لهُ: «الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ: مِنَ الآنَ ترَوْنَ السماءَ مَفتوحَةً، ومَلائكَةَ اللهِ يَصعَدونَ ويَنزِلونَ علَى ابنِ الإنسانِ[٥]».

وفي اليومِ الثّالِثِ كانَ عُرسٌ في قانا الجَليلِ، وكانتْ أُمُّ يَسوعَ هناكَ. ودُعيَ أيضًا يَسوعُ وتلاميذُهُ إلَى العُرسِ. ولَمّا فرَغَتِ الخمرُ، قالَتْ أُمُّ يَسوعَ لهُ: «ليس لهُمْ خمرٌ». قالَ لها يَسوعُ: «ما لي ولكِ يا امرأةُ؟ لَمْ تأتِ ساعَتي بَعدُ». قالَتْ أُمُّهُ للخُدّامِ: «مَهما قالَ لكُمْ فافعَلوهُ». وكانتْ سِتَّةُ أجرانٍ (إناء حجري) مِنْ حِجارَةٍ مَوْضوعَةً هناكَ، حَسَبَ تطهيرِ اليَهودِ، يَسَعُ

٤ بطرس: اسمه باللغة الأرامية «صفا» وباللغة اليونانية «بطرس»، وكلا الاسمين معناه «صخرة».

٥ ابن الإنسان: أحد أسماء الرب يسوع الذي يؤكد طبيعته المزدوجة، فهو إله كامل، وإنسان كامل.

كُلُّ واحِدٍ مِطرَينِ أو ثَلاثَةً (المطر مكيال يسع حوالي ٣٩ لترًا). قالَ لهُمْ يَسوعُ: «املأوا الأجرانَ ماءً». فمَلأوها إلَى فوقُ. ثُمَّ قالَ لهُمُ: «استَقوا الآنَ وقَدِّموا إلَى رَئيسِ المُتَّكإ. فقَدَّموا. فلَمّا ذاقَ رَئيسُ المُتَّكإ الماءَ المُتَحَوِّلَ خمرًا، ولَمْ يَكُنْ يَعلَمُ مِنْ أين هي، لكن الخُدّامَ الّذينَ كانوا قد استَقَوْا الماءَ عَلِموا، دَعا رَئيسُ المُتَّكإ العَريسَ وقالَ لهُ: «كُلُّ إنسانٍ إنَّما يَضَعُ الخمرَ الجَيِّدَةَ أوَّلًا، ومَتَى سكِروا فحينَئذٍ الدّونَ (الأقل جودة). أمّا أنتَ فقد أبقَيتَ الخمرَ الجَيِّدَةَ إلَى الآنَ!». هذِهِ بدايَةُ الآياتِ فعَلها يَسوعُ في قانا الجَليلِ، وأظهَرَ مَجدَهُ، فآمَنَ بهِ تلاميذُهُ.

بدأ الرب يسوع يعلن عن ذاته، ولم يكن له مثيل نهائيًا. فبالرغم من كونه إنسانًا كاملاً، إلا أنه أيضًا إله كامل. وقد بدأ بخدمة تعليم وشفاء متنقلة، مع تلاميذه الاثني عشر الذين كانوا بمثابة متدربين.

سافر الرب يسوع إلى أورشليم للاحتفال بعيد الفصح. وقتها كانت أورشليم مركزًا سياسيًا ودينيًا هامًا، ومعظم القرارات الهامة كانت تُتخذ فيها. وكل سماسرة السلطة يضعون جداول أعمالهم في هذه المدينة الصاخبة.

استمع كثيرون إلى تعاليم الرب يسوع وآمنوا أنه هو المسيا. وآخرون اعتقدوا أنه مصدر للمشاكل. إلا أن قائدًا دينيًا فضوليًا سعى لمقابلته سرًا في الليل مستترًا بالظلام. وانتهز الرب يسوع الفرصة ليُلخص رسالته متحدثًا عن الولادة الثانية.

كانَ إنسانٌ مِنَ الفَرّيسيّينَ اسمُهُ نيقوديموسُ، رَئيسٌ لليَهودِ. هذا جاءَ إلَى يَسوعَ ليلًا وقالَ لهُ: «يا مُعَلِّمُ، نَعلَمُ أنَّكَ قد أتَيتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّمًا، لأنْ ليس أحَدٌ يَقدِرُ أنْ يَعمَلَ هذِهِ الآياتِ الّتي أنتَ تعمَلُ إنْ لَمْ يَكُنِ اللهُ معهُ».

أجابَ يَسوعُ وقالَ لهُ: «الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكَ: إنْ كانَ أحَدٌ لا يولَدُ مِنْ فوقُ[٦] لا يَقدِرُ أنْ يَرَى ملكوتَ اللهِ».

قالَ لهُ نيقوديموسُ: «كيفَ يُمكِنُ الإنسانَ أنْ يولَدَ وهو شَيخٌ؟ ألَعَلَّهُ يَقدِرُ أنْ يَدخُلَ بَطنَ أُمِّهِ ثانيةً ويولَدَ؟».

أجابَ يَسوعُ: «الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكَ: إنْ كانَ أحَدٌ لا يولَدُ مِنَ الماءِ والرّوحِ لا يَقدِرُ أنْ يَدخُلَ ملكوتَ اللهِ. المَوْلودُ مِنَ الجَسَدِ جَسَدٌ هو، والمَوْلودُ مِنَ الرّوحِ هو روحٌ. لا تتَعَجَّبْ أنّي قُلتُ لكَ: يَنبَغي أنْ تولَدوا مِنْ فوقُ. الرّيحُ تهُبُّ حَيثُ تشاءُ، وتَسمَعُ صوتَها، لكنكَ لا تعلَمُ مِنْ أين تأتي ولا إلَى أين تذهَبُ. هكذا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرّوحِ».

أجابَ نيقوديموسُ وقالَ لهُ: «كيفَ يُمكِنُ أنْ يكونَ هذا؟». أجابَ يَسوعُ وقالَ لهُ: «أنتَ مُعَلِّمُ إسرائيلَ ولَستَ تعلَمُ هذا! الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكَ: إنَّنا إنَّما نَتكلَّمُ بما نَعلَمُ ونَشهَدُ بما رأينا، ولَستُمْ تقبَلونَ شَهادَتَنا. إنْ كُنتُ قُلتُ لكُمُ الأرضيّاتِ (الأمور الدنيوية) ولَستُمْ تؤمِنونَ، فكيفَ تؤمِنونَ إنْ قُلتُ لكُمُ السماويّاتِ؟ (الأمور السماوية) وليس أحَدٌ صَعِدَ إلَى السماءِ إلّا الّذي نَزَلَ مِنَ السماءِ، ابنُ الإنسانِ الّذي هو في السماءِ.

«وكما رَفَعَ موسَى الحَيَّةَ في البَرّيَّةِ هكذا يَنبَغي أنْ يُرفَعَ ابنُ الإنسانِ، لكَيْ لا يَهلِكَ كُلُّ مَنْ يؤمِنُ بهِ بل تكونُ لهُ الحياةُ الأبديَّةُ. لأنَّهُ هكذا أحَبَّ اللهُ العالَمَ حتَّى بَذَلَ ابنَهُ الوَحيدَ، لكَيْ لا يَهلِكَ كُلُّ مَنْ يؤمِنُ بهِ، بل تكونُ لهُ الحياةُ الأبديَّةُ. لأنَّهُ لَمْ يُرسِلِ اللهُ ابنَهُ إلَى العالَمِ ليَدينَ العالَمَ، بل ليَخلُصَ بهِ العالَمُ. الّذي يؤمِنُ بهِ لا يُدانُ، والّذي لا يؤمِنُ قد دينَ، لأنَّهُ لَمْ يؤمِنْ باسمِ ابنِ اللهِ الوَحيدِ.

٦ يُولد من فوق: اصطلاح معناه نوال الإنسان حياة روحية جديدة عندما يؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله، ويقبل موت الرب يسوع على الصليب كهبة مجانية تعتق الإنسان من عقوبة الخطية.

التصريح الذي أعلنه الرب يسوع لم يجعل له شعبية لدى النخبة الدينية. لكن الرب يسوع كان يعرف هدفه، وقضى كثيرًا من وقته مع البسطاء الذين لهم احتياجات إنسانية بسيطة.

أحد هؤلاء البسطاء كانت امرأة قابلته في منطقة السامرة. وقد كانت النساء يُعتبرن مواطنات من الدرجة الثانية في ثقافة تلك الأيام. كما كان هناك عداء شديد بين اليهود والسامريين، وكان معظم اليهود يرفضون التعامل مع السامريين خصوصًا إذا كانت امرأة. ولكن يسوع مرة أخرى كسر القاعدة.

وكانَ لا بُدَّ لهُ أنْ يَجتازَ السّامِرَةَ. فأتَى إلَى مدينةٍ مِنَ السّامِرَةِ يُقالُ لها سوخارُ، بقُربِ الضَّيعَةِ (المزرعة) الّتي وهَبَها يعقوبُ ليوسُفَ ابنِهِ. وكانتْ هناكَ بئرُ يعقوبَ. فإذْ كانَ يَسوعُ قد تعِبَ مِنَ السَّفَرِ، جَلَسَ هكذا علَى البِئرِ، وكانَ نَحوَ السّاعَةِ السّادِسَةِ (الثانية عشرة ظهرًا). فجاءَتِ امرأةٌ مِنَ السّامِرَةِ لتَستَقيَ ماءً، فقالَ لها يَسوعُ: «أعطيني لأشرَبَ». لأنَّ تلاميذَهُ كانوا قد مَضَوْا إلَى المدينةِ ليَبتاعوا طَعامًا. فقالَتْ لهُ المَرأةُ السّامِريَّةُ: «كيفَ تطلُبُ مِنّي لتَشرَبَ، وأنتَ يَهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامِريَّةٌ؟». لأنَّ اليَهودَ لا يُعامِلونَ السّامِريّينَ.

أجابَ يَسوعُ وقالَ لها: «لو كُنتِ تعلَمينَ عَطيَّةَ اللهِ، ومَنْ هو الّذي يقولُ لكِ أعطيني لأشرَبَ، لَطَلَبتِ أنتِ مِنهُ فأعطاكِ ماءً حَيًّا». قالَتْ لهُ المَرأةُ: «يا سيِّدُ، لا دَلوَ لكَ والبِئرُ عَميقَةٌ. فمِنْ أين لكَ الماءُ الحَيُّ؟ ألَعَلَّكَ أعظَمُ مِنْ أبينا يعقوبَ، الّذي أعطانا البِئرَ، وشَرِبَ مِنها هو وبَنوهُ ومَواشيهِ؟». أجابَ يَسوعُ وقالَ لها: «كُلُّ مَنْ يَشرَبُ مِنْ هذا الماءِ يَعطَشُ أيضًا. ولكن مَنْ يَشرَبُ مِنَ الماءِ الّذي أُعطيهِ أنا فلن يَعطَشَ إلَى الأبدِ، بل الماءُ الّذي أُعطيهِ يَصيرُ فيهِ يَنبوعَ ماءٍ يَنبَعُ إلَى حياةٍ أبديَّةٍ». قالَتْ لهُ المَرأةُ: «يا سيِّدُ، أعطِني هذا الماءَ، لكَيْ لا أعطَشَ ولا آتيَ إلَى هنا لأستَقيَ».

قالَ لها يَسوعُ: «اذهَبي وادعي زَوْجَكِ وتَعالَيْ إلَى ههنا». أجابَتِ المَرأةُ وقالتْ: «ليس لي زَوْجٌ». قالَ لها يَسوعُ: «حَسَنًا قُلتِ: ليس لي زَوْجٌ، لأنَّهُ كانَ لكِ خَمسَةُ أزواجٍ، والّذي لكِ الآنَ ليس هو زَوْجَكِ. هذا قُلتِ بالصِّدقِ». قالَتْ لهُ المَرأةُ: «يا سيِّدُ، أرَى أنَّكَ نَبيٌّ! آباؤُنا سجَدوا في هذا الجَبَلِ، وأنتُمْ تقولونَ إنَّ في أورُشَليمَ المَوْضِعَ الّذي يَنبَغي أنْ يُسجَدَ فيهِ». قالَ لها يَسوعُ: «يا امرأةُ، صَدِّقيني أنَّهُ تأتي ساعَةٌ، لا في هذا الجَبَلِ، ولا في أورُشَليمَ تسجُدونَ للآبِ. أنتُمْ تسجُدونَ لما لَستُمْ تعلَمونَ، أمّا نَحنُ فنَسجُدُ لما نَعلَمُ. لأنَّ الخَلاصَ هو مِنَ اليَهودِ. ولكن تأتي ساعَةٌ، وهي الآنَ، حينَ السّاجِدونَ الحَقيقيّونَ يَسجُدونَ للآبِ بالرّوحِ والحَقِّ، لأنَّ الآبَ طالِبٌ مِثلَ هؤُلاءِ السّاجِدينَ لهُ. اللهُ روحٌ. والّذينَ يَسجُدونَ لهُ فبالرّوحِ والحَقِّ يَنبَغي أنْ يَسجُدوا». قالَتْ لهُ المَرأةُ: «أنا أعلَمُ أنَّ مَسيّا، الّذي يُقالُ لهُ المَسيحُ، يأتي. فمَتَى جاءَ ذاكَ يُخبِرُنا بكُلِّ شَيءٍ». قالَ لها يَسوعُ: «أنا الّذي أُكلِّمُكِ هو».

وعِندَ ذلكَ جاءَ تلاميذُهُ، وكانوا يتَعَجَّبونَ أنَّهُ يتَكلَّمُ مع امرأةٍ. ولكن لَمْ يَقُلْ أحَدٌ: «ماذا تطلُبُ؟» أو «لماذا تتكلَّمُ معها؟». فترَكَتِ المَرأةُ جَرَّتَها ومَضَتْ إلَى المدينةِ وقالَتْ للنّاسِ: «هَلُمّوا انظُروا إنسانًا قالَ لي كُلَّ ما فعَلتُ. ألَعَلَّ هذا هو المَسيحُ؟». فخرجوا مِنَ المدينةِ وأتَوْا إليهِ.

فآمَنَ بهِ مِنْ تِلكَ المدينةِ كثيرونَ مِنَ السّامِريّينَ بسَبَبِ كلامِ المَرأةِ الّتي كانتْ تشهَدُ أنَّهُ: «قالَ لي كُلَّ ما فعَلتُ». فلَمّا جاءَ إليهِ السّامِريّونَ سألوهُ أنْ يَمكُثَ عِندَهُمْ، فمَكَثَ هناكَ يومَينِ. فآمَنَ بهِ أكثَرُ جِدًّا بسَبَبِ كلامِهِ. وقالوا للمَرأةِ: «إنَّنا لَسنا بَعدُ بسَبَبِ كلامِكِ نؤمِنُ، لأنَّنا نَحنُ قد سمِعنا ونَعلَمُ أنَّ هذا هو بالحَقيقَةِ المَسيحُ مُخَلِّصُ العالَمِ».

وبَعدَ اليومَينِ خرجَ مِنْ هناكَ ومَضَى إلَى الجَليلِ،

ثُمَّ دَخلوا كفرَناحومَ، ولِلوقتِ دَخلَ المَجمَعَ في السَّبتِ وصارَ يُعَلِّمُ. فبُهِتوا مِنْ تعليمِهِ لأنَّهُ كانَ يُعَلِّمُهُمْ كمَنْ لهُ سُلطانٌ وليس كالكتبةِ. وكانَ في مَجمَعِهِمْ رَجُلٌ بهِ روحٌ نَجِسٌ، فصَرَخَ قائلًا: «آهِ! ما لنا ولكَ يا يَسوعُ النّاصِريُّ؟ أتَيتَ لتُهلِكَنا! أنا أعرِفُكَ مَنْ أنتَ: قُدّوسُ اللهِ!». فانتَهَرَهُ يَسوعُ قائلًا: «اخرَسْ! واخرُجْ مِنهُ!». فصَرَعَهُ الرّوحُ النَّجِسُ وصاحَ بصوتٍ عظيمٍ وخرجَ مِنهُ. فتحَيَّروا كُلُّهُمْ، حتَّى سألَ بَعضُهُمْ بَعضًا قائلينَ: «ما هذا؟ ما هو هذا التَّعليمُ الجديدُ؟ لأنَّهُ بسُلطانٍ يأمُرُ حتَّى الأرواحَ النَّجِسَةَ فتُطيعُهُ!». فخرجَ خَبَرُهُ للوقتِ في كُلِّ الكورَةِ (المنطقة) المُحيطَةِ بالجَليلِ.

ولَمّا خرجوا مِنَ المَجمَعِ جاءوا للوقتِ إلَى بَيتِ سِمعانَ وأندَراوُسَ مع يعقوبَ ويوحَنا، وكانتْ حَماةُ سِمعانَ مُضطَجِعَةً مَحمومَةً، فللوقتِ أخبَروهُ عنها. فتقَدَّمَ وأقامَها ماسِكًا بيَدِها، فترَكَتها الحُمَّى حالًا وصارَتْ تخدِمُهُمْ. ولَمّا صارَ المساءُ، إذ غَرَبَتِ الشَّمسُ، قَدَّموا إليهِ جميعَ السُّقَماءِ (المصابين بمرض مزمن) والمَجانينَ. وكانتِ المدينةُ كُلُّها مُجتَمِعَةً علَى البابِ. فشَفَى كثيرينَ كانوا مَرضَى بأمراضٍ مُختَلِفَةٍ، وأخرَجَ شَياطينَ كثيرَةً، ولَمْ يَدَعِ الشَّياطينَ يتَكلَّمونَ لأنَّهُمْ عَرَفوهُ.

وفي الصُّبحِ باكِرًا جِدًّا قامَ وخرجَ ومَضَى إلَى مَوْضِعٍ خَلاءٍ، وكانَ يُصَلّي هناكَ، فتبِعَهُ سِمعانُ والّذينَ معهُ. ولَمّا وجَدوهُ قالوا لهُ: «إنَّ الجميعَ يَطلُبونَكَ». فقالَ لهُمْ: «لنَذهَبْ إلَى القرَى المُجاوِرَةِ لأكرزَ هناكَ أيضًا، لأنّي لهذا خرجتُ». فكانَ يَكرِزُ في مجامعهِمْ في كُلِّ الجَليلِ ويُخرِجُ الشَّياطينَ.

فأتَى إليهِ أبرَصُ (مصاب بمرض جلدي) يَطلُبُ إليهِ جاثيًا وقائلًا لهُ: «إنْ أرَدتَ تقدِرْ أنْ تُطهِّرَني». فتحَنَّنَ يَسوعُ ومَدَّ يَدَهُ ولَمَسَهُ وقالَ لهُ:

«أُريدُ، فاطهُرْ!». فللوقتِ وهو يتكلَّمُ ذَهَبَ عنهُ البَرَصُ وطَهَرَ. فانتَهَرَهُ وأرسَلهُ للوقتِ، وقالَ لهُ: «انظُرْ، لا تقُلْ لأحَدٍ شَيئًا، بل اذهَبْ أرِ نَفسَكَ للكاهِنِ وقَدِّمْ عن تطهيرِكَ ما أمَرَ بهِ موسَى، شَهادَةً لهُمْ». وأمّا هو فخرجَ وابتَدأَ يُنادي كثيرًا ويُذيعُ الخَبَرَ، حتَّى لَمْ يَعُدْ يَقدِرُ أنْ يَدخُلَ مدينةً ظاهِرًا، بل كانَ خارِجًا في مَواضِعَ خاليةٍ، وكانوا يأتونَ إليهِ مِنْ كُلِّ ناحيَةٍ.

ثُمَّ دَخَلَ كفرَناحومَ أيضًا بَعدَ أيّامٍ، فسُمِعَ أنَّهُ في بَيتٍ. ولِلوقتِ اجتَمَعَ كثيرونَ حتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ ولا ما حَوْلَ البابِ. فكانَ يُخاطِبُهُمْ بالكلِمَةِ. وجاءوا إليهِ مُقَدِّمينَ مَفلوجًا (مشلولاً) يَحمِلُهُ أربَعَةٌ. وإذ لَمْ يَقدِروا أنْ يَقتَرِبوا إليهِ مِنْ أجلِ الجَمعِ، كشَفوا السَّقفَ حَيثُ كانَ. وبَعدَ ما نَقَبوهُ دَلَّوْا السَّريرَ الّذي كانَ المَفلوجُ مُضطَجِعًا علَيهِ. فلَمّا رأى يَسوعُ إيمانَهُمْ، قالَ للمَفلوجِ: «يا بُنَيَّ، مَغفورَةٌ لكَ خطاياكَ». وكانَ قَوْمٌ مِنَ الكتبةِ هناكَ جالِسينَ يُفكِّرونَ في قُلوبِهِمْ: «لماذا يتكلَّمُ هذا هكذا بتجاديفَ؟ مَنْ يَقدِرُ أنْ يَغفِرَ خطايا إلّا اللهُ وحدَهُ؟». فللوقتِ شَعَرَ يَسوعُ بروحِهِ أنهُم يُفَكِّرونَ هكذا في أنفُسِهِمْ، فقالَ لهُمْ: «لماذا تُفَكِّرونَ بهذا في قُلوبكُم؟ أيُّما أيسَرُ، أنْ يُقالَ للمَفلوجِ: مَغفورَةٌ لكَ خطاياكَ، أم أنْ يُقالَ: قُمْ واحمِلْ سريرَكَ وامشِ؟ ولكن لكَيْ تعلَموا أنَّ لابنِ الإنسانِ سُلطانًا علَى الأرضِ أنْ يَغفِرَ الخطايا». قالَ للمَفلوجِ: «لكَ أقولُ: قُمْ واحمِلْ سريرَكَ واذهَبْ إلَى بَيتِكَ!». فقامَ للوقتِ وحَمَلَ السَّريرَ وخرجَ قُدّامَ الكُلِّ، حتَّى بُهِتَ (اندهش) الجميعُ ومَجَّدوا اللهَ قائلينَ: «ما رأينا مِثلَ هذا قَطُّ (أبدًا)!».

ثُمَّ خرجَ أيضًا إلَى البحرِ. وأتَى إليهِ كُلُّ الجَمعِ فعَلَّمَهُمْ. وفيما هو مُجتازٌ رأى لاويَ بنَ حَلفَى جالِسًا عِندَ مَكانِ الجِبايَةِ (جمع الضرائب)،

فقالَ لهُ: «اتبَعني». فقامَ وتَبِعَهُ. وفيما هو مُتَّكِئٌ (جالس للطعام) في بَيتِهِ كانَ كثيرونَ مِنَ العَشّارينَ (جامعي الضرائب) والخُطاةِ يتَّكِئونَ مع يَسوعَ وتلاميذِهِ، لأَنَّهُمْ كانوا كثيرينَ وتَبِعوهُ. وأمّا الكتبةُ والفَرّيسيّونَ فلَمّا رأوهُ يأكُلُ مع العَشّارينَ والخُطاةِ، قالوا لتلاميذِهِ: «ما بالُهُ يأكُلُ ويَشرَبُ مع العَشّارينَ والخُطاةِ؟». فلَمّا سمِعَ يَسوعُ قالَ لهُمْ: «لا يَحتاجُ الأصِحّاءُ إلَى طَبيبٍ بل المَرضَى. لَمْ آتِ لأدعوَ أبرارًا بل خُطاةً إلَى التَّوْبَةِ».

من الوهلة الأولى تبين للناس أن الرب يسوع معلّم مختلف عن كل مُعلمي الشريعة. فقد بدا أنه تجاهل العديد من الأحكام المتعارف عليها، والتي تحدد السلوك القويم بالنسبة للشعب اليهودي، فقد وضع الرب يسوع الناس أولاً قبل الشريعة. وهكذا كان «طريقه الجديد» متسامحًا وشفوقًا. فهو لم يأتِ كثائر ومحرّض للجموع، بل كصديق للناس خصوصًا المنبوذين، حتى المشكوك في نقائهم والمكروهين من معظم القادة الدينيين.

ثُمَّ دَخَلَ أيضًا إلَى المَجمَعِ، وكانَ هناكَ رَجُلٌ يَدُهُ يابِسَةٌ (مشلولة). فصاروا يُراقِبونَهُ: هل يَشفيهِ في السَّبتِ؟ لكَيْ يَشتَكوا علَيهِ. فقالَ للرَّجُلِ الّذي لهُ اليَدُ اليابِسَةُ: «قُمْ في الوَسطِ!». ثُمَّ قالَ لهُمْ: «هل يَحِلُّ في السَّبتِ فِعلُ الخَيرِ أو فِعلُ الشَّرِّ؟ تخليصُ نَفسٍ أو قَتلٌ؟». فسكَتوا. فنَظَرَ حَوْلهُ إليهِمْ بغَضَبٍ، حَزينًا علَى غِلاظَةِ قُلوبِهِمْ، وقالَ للرَّجُلِ: «مُدَّ يَدَكَ». فمَدَّها، فعادَتْ يَدُهُ صَحيحَةً كالأُخرَى. فخرجَ الفَرّيسيّونَ للوقتِ مع الهيرودُسيّينَ[٧] وتَشاوَروا علَيهِ لكَيْ يُهلِكوهُ.

وكانَ يَسوعُ يَطوفُ كُلَّ الجَليلِ يُعَلِّمُ في مجامعهِمْ، ويَكرِزُ بِبِشارَةِ

٧ الهيرودسيين: طائفة يهودية موالية لهيرودس الكبير وأبنائه.

الملكوتِ، ويَشفي كُلَّ مَرَضٍ وكُلَّ ضَعفٍ في الشَّعبِ. فذاعَ خَبَرُهُ في جميعِ سوريَّةَ. فأحضَروا إليهِ جميعَ السُّقَماءِ المُصابينَ بأمراضٍ وأوجاعٍ مُختَلِفَةٍ، والمَجانينَ والمَصروعينَ والمَفلوجينَ، فشَفاهُمْ. فتبِعَتهُ جُموعٌ كثيرَةٌ مِنَ الجَليلِ والعَشرِ المُدُنِ وأورُشَليمَ واليَهوديَّةِ ومِنْ عَبرِ الأُردُنِّ.

فقالَ لتلاميذِهِ أنْ تُلازِمَهُ سفينَةٌ صَغيرَةٌ لسَبَبِ الجَمعِ، كيْ لا يَزحَموهُ، لأنَّهُ كانَ قد شَفَى كثيرينَ، حتَّى وقَعَ علَيهِ ليَلمِسَهُ كلُّ مَنْ فيهِ داءٌ (مرض). والأرواحُ النَّجِسَةُ حينَما نَظَرَتهُ خَرَّتْ (سجدت) لهُ وصَرَخَتْ قائلَةً: «إنَّكَ أنتَ ابنُ اللهِ!». وأوصاهُمْ كثيرًا أنْ لا يُظهِروهُ.

كان اليهود مقتنعين أن المسيا الذي طال انتظاره حينما يأتي سيحررهم من الاضطهاد السياسي، وسيُخلصهم من سلطة الإمبراطورية الرومانية. لقد كانوا ينتظرون ملكًا أرضيًا يصل بأمتهم إلى كرسي السلطة. ولكن الرب يسوع كان له قصد أعمق من ذلك، واهتمامات أكثر تميزًا، فمُلكه اللامحدود أكثر مجدًا مما قد يتوقعه الناس. كان عليهم أن يتعلموا المعنى الحقيقي لكلمة «مسيا»، الشخص الممسوح. وكان عليهم أن يكتشفوا مَن هو يسوع، ووقتها فقط سينالون موافقته على نشر الأخبار السارة.

ثُمَّ صَعِدَ إلَى الجَبَلِ ودَعا الّذينَ أرادَهُمْ فذَهَبوا إليهِ. وأقامَ اثنَيْ عشَرَ ليكونوا معهُ، وليُرسِلهُمْ ليَكرِزوا، ويكونَ لهُمْ سُلطانٌ علَى شِفاءِ الأمراضِ وإخراجِ الشَّياطينِ. وجَعَلَ لسِمعانَ اسمَ بُطرُسَ. ويعقوبَ بنَ زَبدي ويوحَنا أخا يعقوبَ، وجَعَلَ لهُما اسمَ بوانَرجِسَ أي ابنَي الرَّعدِ. وأندَراوُسَ، وفيلُبُّسَ، وبَرثولَماوُسَ، ومَتَّى، وتوما، ويعقوبَ بنَ حَلفَى، وتَدّاوُسَ، وسِمعانَ القانَويَّ، ويَهوذا الإسخَريوطيَّ الّذي أسلَمَهُ.

وعلَى أثَرِ ذلكَ كانَ يَسيرُ في مدينةٍ وقريةٍ يَكرِزُ ويُبَشِّرُ بملكوتِ اللهِ، ومَعَهُ الإثنا عشَرَ. وبَعضُ النِّساءِ كُنَّ قد شُفينَ مِنْ أرواحٍ شِرّيرَةٍ وأمراضٍ: مَريَمُ الّتي تُدعَى المَجدَليَّةَ الّتي خرجَ مِنها سبعَةُ شياطينَ، ويوَنّا امرأةُ خوزي وكيلِ هيرودُسَ، وسوسنَّةُ، وأُخَرُ كثيراتٌ كُنَّ يَخدِمنَهُ مِنْ أموالِهِنَّ.

على ما يبدو أنه حتى يوحنا المعمدان لم يستطع إدراك مَن هو يسوع. فرغم أن يوحنا أعلن من قبل أن يسوع هو المسيا المنتظر، ولكن ما كان يفعله الرب يسوع لم يكن يتفق مع توقعات يوحنا. وقد زاد إحباطه عندما ألقيَ به في السجن لأنه انتقد علنًا هيرودس أنتيباس.

كان هيرودس أنتيباس هو ابن هيرودس الكبير الحاكم في وقت ميلاد الرب يسوع. وهو أيضًا الحاكم المعيّن لمنطقة الجليل من قِبل الدولة الرومانية. وكان قد أقنع زوجة أخيه أن تنفصل عن أخيه وتتزوجه هو، الأمر الذي كان مخالفًا للشريعة اليهودية. وكان يوحنا المعمدان قد ألقيَ به في السجن لأنه انتقد علنًا هذه الخطية.

أمّا يوحَنا فلَمّا سمِعَ في السِّجنِ بأعمالِ المَسيحِ، أرسَلَ اثنَينِ مِنْ تلاميذِهِ، وقالَ لهُ: «أنتَ هو الآتي أم نَنتَظِرُ آخَرَ؟». فأجابَ يَسوعُ وقالَ لهُما: «اذهَبا وأخبِرا يوحَنا بما تسمَعانِ وتَنظُرانِ: العُميُ يُبصِرونَ، والعُرجُ يَمشونَ، والبُرصُ يُطَهَّرونَ، والصُّمُّ يَسمَعونَ، والموتَى يَقومونَ، والمَساكينُ يُبَشَّرونَ. وطوبَى لمَنْ لا يَعثُرُ فيَّ».

وبَينَما ذَهَبَ هذانِ ابتَدأَ يَسوعُ يقولُ للجُموعِ عن يوحَنا: «ماذا خرجتُمْ إلَى البَرّيَّةِ لتَنظُروا؟ أقَصَبَةً تُحَرِّكُها الرّيحُ؟ لكن ماذا خرجتُمْ

لتَنظُروا؟ أإنسانًا لابِسًا ثيابًا ناعِمَةً؟ هوذا الّذينَ يَلبَسونَ الثّيابَ النّاعِمَةَ هُم في بُيوتِ المُلوكِ. لكن ماذا خرجتُمْ لتَنظُروا؟ أنَبيًّا؟ نَعَمْ، أقولُ لكُمْ، وأفضَلَ مِنْ نَبيٍّ. فإنَّ هذا هو الّذي كُتِبَ عنهُ: ها أنا أُرسِلُ أمامَ وجهِكَ مَلاكي الّذي يُهَيِّئُ طريقَكَ قُدّامَكَ. الحَقَّ أقولُ لكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَينَ المَوْلودينَ مِنَ النِّساءِ أعظَمُ مِنْ يوحَنا المَعمَدانِ، ولكن الأصغَرَ في ملكوتِ السماواتِ أعظَمُ مِنهُ. ومِنْ أيّام يوحَنا المَعمَدانِ إلَى الآنَ ملكوتُ السماواتِ يُغصَبُ، والغاصِبون يَختَطِفونَهُ. لأنَّ جميعَ الأنبياءِ والنّاموسَ إلَى يوحَنا تنَبّأوا. وإنْ أرَدتُمْ أنْ تقبَلوا، فهذا هو إيليّا المُزمِعُ أنْ يأتيَ.

إجابة الرب يسوع على سؤال يوحنا المعمدان ألقى المزيد من الضوء على دور يسوع باعتباره المخلّص والمسيا. فانبهر كثير من الناس بيسوع النبي المعلّم، وأرادوا أن يسمعوا منه المزيد.

٢٤

أعظم من مُعلم

وابتَدأَ أيضًا يُعَلِّمُ عِندَ البحرِ، فاجتَمَعَ إليهِ جَمعٌ كثيرٌ حتَّى إنَّهُ دَخَلَ السَّفينَةَ وجَلَسَ علَى البحرِ، والجَمعُ كُلُّهُ كانَ عِندَ البحرِ علَى الأرضِ.

فكانَ يُعَلِّمُهُمْ كثيرًا بأمثالٍ. وقالَ لهُمْ في تعليمِهِ: «اسمَعوا! هوذا الزّارعُ قد خرجَ ليَزرَعَ، وفيما هو يَزرَعُ سقَطَ بَعضٌ علَى الطريقِ، فجاءَتْ طُيورُ السماءِ وأكلَتهُ. وسَقَطَ آخَرُ علَى مَكانٍ مُحجِرٍ، حَيثُ لَمْ تكُنْ لهُ تُربَةٌ كثيرَةٌ، فنبَتَ حالًا إذ لَمْ يَكُنْ لهُ عُمقُ أرضٍ. ولكن لَمّا أشرَقَتِ الشَّمسُ احترَقَ، وإذ لَمْ يَكُنْ لهُ أصلٌ جَفَّ. وسَقَطَ آخَرُ في الشَّوْكِ، فطَلَعَ الشَّوْكُ وخَنَقَهُ فلَمْ يُعطِ ثَمَرًا. وسَقَطَ آخَرُ في الأرضِ الجَيِّدَةِ، فأعطَى ثَمَرًا يَصعَدُ وينمو، فأتَى واحِدٌ بثَلاثينَ وآخَرُ بسِتّينَ وآخَرُ بمِئَةٍ». ثُمَّ قالَ لهُمْ: «مَنْ لهُ أُذُنانِ للسَّمعِ، فليَسمَعْ».

ولَمّا كانَ وحدَهُ سألهُ الّذينَ حَوْلهُ مع الِاثنَيْ عشَرَ عن المَثَلِ، فقالَ لهُمْ: «قد أُعطيَ لكُمْ أنْ تعرِفوا سِرَّ ملكوتِ اللهِ. وأمّا الّذينَ هُم مِنْ خارِجٍ فبالأمثالِ يكونُ لهُمْ كُلُّ شَيءٍ،

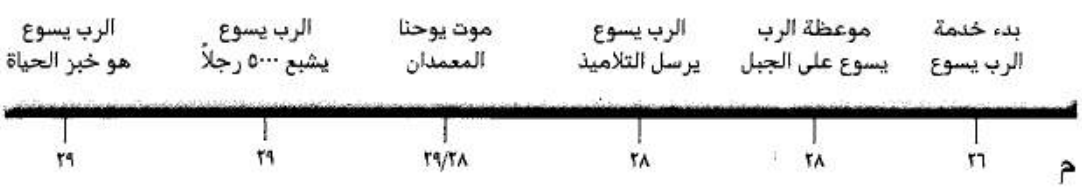

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

لكَيْ يُبصِروا مُبصِرينَ ولا يَنظُروا،
ويَسمَعوا سامِعينَ ولا يَفهَموا،
لئَلّا يَرجِعوا فتُغفَرَ لهُمْ خطاياهُمْ».

ثُمَّ قالَ لهُمْ: «أما تعلَمونَ هذا المَثَلَ؟ فكيفَ تعرِفونَ جميعَ الأمثالِ؟ الزّارعُ يَزرَعُ الكلِمَةَ. وهؤُلاءِ هُمُ الّذينَ علَى الطريقِ: حَيثُ تُزرَعُ الكلِمَةُ، وحينَما يَسمَعونَ يأتي الشَّيطانُ للوقتِ ويَنزِعُ الكلِمَةَ المَزروعَةَ في قُلوبِهِمْ. وهؤُلاءِ كذلكَ هُمُ الّذينَ زُرِعوا علَى الأماكِنِ المُحجِرَةِ: الّذينَ حينَما يَسمَعونَ الكلِمَةَ يَقبَلونَها للوقتِ بفَرَحٍ، ولكن ليس لهُمْ أصلٌ في ذَواتِهِمْ، بل هُم إلَى حينٍ (لوقت قصير). فبَعدَ ذلكَ إذا حَدَثَ ضيقٌ أو اضطِهادٌ مِنْ أجلِ الكلِمَةِ، فللوقتِ يَعثُرونَ. وهؤُلاءِ هُمُ الّذينَ زُرِعوا بَينَ الشَّوْكِ: هؤُلاءِ هُمُ الّذينَ يَسمَعونَ الكلِمَةَ، وهُمومُ هذا العالَمِ وغُرورُ الغِنَى وشَهَواتُ سائرِ الأشياءِ تدخُلُ وتَخنُقُ الكلِمَةَ فتصيرُ بلا ثَمَرٍ. وهؤُلاءِ هُمُ الّذينَ زُرِعوا علَى الأرضِ الجَيِّدَةِ: الّذينَ يَسمَعونَ الكلِمَةَ ويَقبَلونَها، ويُثمِرونَ: واحِدٌ ثَلاثينَ وآخَرُ سِتّينَ وآخَرُ مِئَةً».

ثُمَّ قالَ لهُمْ: «هل يؤتَى بسِراجٍ ليوضَعَ تحتَ المِكيالِ (إناء) أو تحتَ السَّريرِ؟ أليس ليوضَعَ علَى المَنارَةِ؟ لأنَّهُ ليس شَيءٌ خَفيٌّ لا يُظهَرُ، ولا صارَ مَكتومًا إلّا ليُعلَنَ. إنْ كانَ لأحَدٍ أُذُنانِ للسَّمعِ، فليَسمَعْ».

وقالَ لهُمْ: «انظُروا ما تسمَعونَ! بالكَيلِ الّذي بهِ تكيلونَ يُكالُ لكُمْ ويُزادُ لكُمْ أيُّها السّامِعونَ. لأنَّ مَنْ لهُ سيُعطَى، وأمّا مَنْ ليس لهُ فالّذي عِندَهُ سيؤخَذُ مِنهُ».

وقالَ: «هكذا ملكوتُ اللهِ: كأنَّ إنسانًا يُلقي البِذارَ علَى الأرضِ، ويَنامُ ويَقومُ ليلًا ونهارًا، والبِذارُ يَطلُعُ وينمو، وهو لا يَعلَمُ كيفَ،

لأنَّ الأرضَ مِنْ ذاتِها تأتي بثَمَرٍ. أوَّلًا نَباتًا، ثُمَّ سُنبُلًا، ثُمَّ قمحًا مَلآنَ في السُّنبُلِ. وأمّا مَتَى أدرَكَ (نضج) الثَّمَرُ، فللوقتِ يُرسِلُ المِنجَلَ لأنَّ الحَصادَ قد حَضَرَ».

وقالَ: «بماذا نُشَبِّهُ ملكوتَ اللهِ؟ أو بأيِّ مَثَلٍ نُمَثِّلُهُ؟ مِثلُ حَبَّةِ خَردَلٍ، مَتَى زُرِعَتْ في الأرضِ فهي أصغَرُ جميعِ البُزورِ الّتي علَى الأرضِ. ولكن مَتَى زُرِعَتْ تطلُعُ وتَصيرُ أكبَرَ جميعِ البُقول، وتَصنَعُ أغصانًا كبيرَةً، حتَّى تستَطيعَ طُيورُ السماءِ أنْ تتآوَى تحتَ ظِلِّها». وبأمثالٍ كثيرَةٍ مِثلِ هذِهِ كانَ يُكلِّمُهُمْ حَسبَما كانوا يستطيعونَ أنْ يَسمَعوا، وبدونِ مَثَلٍ لَمْ يَكُنْ يُكلِّمُهُمْ. وأمّا علَى انفِرادٍ فكانَ يُفَسِّرُ لتلاميذِهِ كُلَّ شَيءٍ.

كان الرب يسوع عادة ما يستخدم الأمثال في تعليمه للجموع، وهذه القصص مأخوذة من الطبيعة أو من أحداث الحياة اليومية، لتشير إلى حقيقة معينة تستدعي تفاعل من المستمعين. وفي إحدى المرات كلمهم الرب يسوع بثلاثة أمثال ليرُد بها على تذمر مُعلمي الشريعة من الكتبة والفريسيين، والذين كان لديهم برًا ذاتيًا، إذ كانوا يشتكون عليه لأنه يقبل الخطاة ويأكل معهم.

وكانَ جميعُ العَشّارينَ والخُطاةِ يَدنونَ مِنهُ ليَسمَعوهُ. فتذَمَّرَ الفَرّيسيّونَ والكتبةُ قائلينَ: «هذا يَقبَلُ خُطاةً ويأكُلُ معهُمْ!». فكلَّمَهُمْ بهذا المَثَلِ قائلًا: «أيُّ إنسانٍ مِنكُمْ لهُ مِئَةُ خَروفٍ، وأضاعَ واحِدًا مِنها، ألا يترُكُ التِّسعَةَ والتِّسعينَ في البَرّيَّةِ، ويَذهَبَ لأجلِ الضّالِّ حتَّى يَجِدَهُ؟ وإذا وجَدَهُ يَضَعُهُ علَى مَنكِبَيهِ (كتفيه) فرِحًا، ويأتي إلَى بَيتِهِ ويَدعو الأصدِقاءَ والجيرانَ قائلًا لهُمُ: افرَحوا مَعي، لأنّي وجَدتُ خَروفي الضّالَّ! أقولُ لكُمْ: إنَّهُ هكذا يكونُ فرَحٌ في السماءِ بخاطِئٍ واحِدٍ يتوبُ أكثَرَ مِنْ تِسعَةٍ وتِسعينَ بارًّا لا يَحتاجونَ إلَى توبَةٍ.

«أو أيَّةُ امرأةٍ لها عَشرَةُ دَراهِمَ، إنْ أضاعَتْ دِرهَمًا واحِدًا، ألا توقِدُ سِراجًا وتَكنُسُ البَيتَ وتُفَتِّشُ باجتِهادٍ حتَّى تجِدَهُ؟ وإذا وجَدَتهُ تدعو الصَّديقاتِ والجاراتِ قائلَةً: افرَحنَ مَعي لأنّي وجَدتُ الدِّرهَمَ الّذي أضَعتُهُ. هكذا، أقولُ لكُمْ: يكونُ فرَحٌ قُدّامَ مَلائكَةِ اللهِ بخاطِئٍ واحِدٍ يتوبُ.

وقالَ: «إنسانٌ كانَ لهُ ابنانِ. فقالَ أصغَرُهُما لأبيهِ: يا أبي أعطِني القِسمَ الّذي يُصيبُني مِنَ المالِ (ميراثي). فقَسَمَ لهُما مَعيشَتَهُ (ممتلكاته). وبَعدَ أيّامٍ لَيسَتْ بكَثيرَةٍ جَمَعَ الِابنُ الأصغَرُ كُلَّ شَيءٍ وسافَرَ إلَى كورَةٍ بَعيدَةٍ، وهناكَ بَذَّرَ مالهُ بعَيشٍ مُسرِفٍ. فلَمّا أنفَقَ كُلَّ شَيءٍ، حَدَثَ جوعٌ شَديدٌ في تِلكَ الكورَةِ، فابتَدأَ يَحتاجُ. فمَضَى والتَصَقَ بواحِدٍ مِنْ أهل تِلكَ الكورَةِ، فأرسَلهُ إلَى حُقولهِ ليَرعَى خَنازيرَ. وكانَ يَشتَهي أنْ يَملأَ بَطنَهُ مِنَ الخُرنوبِ الّذي كانتِ الخَنازيرُ تأكُلُهُ، فلَمْ يُعطِهِ أحَدٌ. فرَجَعَ إلَى نَفسِهِ وقالَ: كمْ مِنْ أجيرٍ لأبي يَفضُلُ عنهُ الخُبزُ وأنا أهلِكُ جوعًا! أقومُ وأذهَبُ إلَى أبي وأقولُ لهُ: يا أبي، أخطأتُ إلَى السماءِ وقُدّامَكَ، ولَستُ مُستَحِقًّا بَعدُ أنْ أُدعَى لكَ ابنًا. اِجعَلني كأحَدِ أجراكَ.

فقامَ وجاءَ إلَى أبيهِ. وإذ كانَ لَمْ يَزَلْ بَعيدًا رآهُ أبوهُ، فتحَنَّنَ ورَكَضَ ووقَعَ علَى عُنقِهِ وقَبَّلهُ. فقالَ لهُ الِابنُ: يا أبي، أخطأتُ إلَى السماءِ وقُدّامَكَ، ولَستُ مُستَحِقًّا بَعدُ أنْ أُدعَى لكَ ابنًا. فقالَ الأبُ لعَبيدِهِ: أخرِجوا الحُلَّةَ الأولَى (أفضل ثوب) وألبِسوهُ، واجعَلوا خاتَمًا في يَدِهِ، وحِذاءً في رِجلَيهِ، وقَدِّموا العِجلَ المُسَمَّنَ واذبَحوهُ فنأكُلَ ونَفرَحَ، لأنَّ ابني هذا كانَ مَيِّتًا فعاشَ، وكانَ ضالًّا فوُجِدَ. فابتَدأوا يَفرَحونَ.

وكانَ ابنُهُ الأكبَرُ في الحَقلِ. فلَمّا جاءَ وقَرُبَ مِنَ البَيتِ، سمِعَ صوتَ آلاتِ طَرَبٍ ورَقصًا. فدَعا واحِدًا مِنَ الغِلمانِ وسألَهُ: ما عَسَى أنْ يكونَ

هذا؟ فقالَ لهُ: أخوكَ جاءَ فذَبَحَ أبوكَ العِجلَ المُسَمَّنَ، لأنَّهُ قَبِلهُ (وجده) سالِمًا. فغَضِبَ ولَمْ يُرِدْ أنْ يَدخُلَ. فخرجَ أبوهُ يَطلُبُ إليهِ. فأجابَ وقالَ لأبيهِ: ها أنا أخدِمُكَ سِنينَ هذا عَدَدُها، وقَطُّ لَمْ أتَجاوَزْ وصيَّتَكَ، وجَديًا لَمْ تُعطِني قَطُّ لأفرَحَ مع أصدِقائي. ولكن لَمّا جاءَ ابنُكَ هذا الّذي أكلَ مَعيشَتَكَ مع الزَّواني، ذَبَحتَ لهُ العِجلَ المُسَمَّنَ! فقالَ لهُ: يا بُنَيَّ أنتَ مَعي في كُلِّ حينٍ، وكُلُّ ما لي فهو لكَ. ولكن كانَ يَنبَغي أنْ نَفرَحَ ونُسَرَّ، لأنَّ أخاكَ هذا كانَ ميِّتًا فعاشَ، وكانَ ضالًّا فوُجِدَ».

وفي مرة أخرى استخدم الرب يسوع مثلاً ليجيب على تساؤل أحد القادة الدينيين.

وإذا ناموسيٌّ قامَ يُجَرِّبُهُ قائلًا: «يا مُعَلِّمُ، ماذا أعمَلُ لأرِثَ الحياةَ الأبديَّةَ؟». فقالَ لهُ: «ما هو مَكتوبٌ في النّاموسِ. كيفَ تقرأُ؟». فأجابَ وقالَ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ، ومِنْ كُلِّ نَفسِكَ، ومِنْ كُلِّ قُدرَتِكَ، ومِنْ كُلِّ فِكرِكَ، وقريبَكَ مِثلَ نَفسِكَ». فقالَ لهُ: «بالصَّوابِ أجَبتَ. اِفعَلْ هذا فتحيا». وأمّا هو فإذْ أرادَ أنْ يُبَرِّرَ نَفسَهُ، قالَ ليَسوعَ: «ومَنْ هو قريبي؟». فأجابَ يَسوعُ وقالَ: «إنسانٌ كانَ نازِلًا مِنْ أورُشَليمَ إلَى أريحا، فوَقَعَ بَينَ لُصوصٍ، فعَرَّوْهُ وجَرَّحوهُ، ومَضَوْا وتَرَكوهُ بَينَ حَيٍّ ومَيتٍ. فعَرَضَ (تصادف) أنَّ كاهِنًا نَزَلَ في تِلكَ الطريقِ، فرآهُ وجازَ مُقابِلهُ. وكذلكَ لاويٌّ أيضًا، إذ صارَ عِندَ المَكانِ جاءَ ونَظَرَ وجازَ مُقابِلهُ. ولكن سامِريًّا مُسافِرًا جاءَ إليهِ، ولَمّا رآهُ تحَنَّنَ، فتقَدَّمَ وضَمَدَ جِراحاتِهِ، وصَبَّ علَيها زَيتًا وخمرًا، وأركَبَهُ علَى دابَّتِهِ، وأتَى بهِ إلَى فُندُقٍ واعتَنَى بهِ. وفي الغَدِ لَمّا مَضَى أخرَجَ دينارَينِ[1] وأعطاهُما

١ دينارين: في ذلك الوقت كان الدينار هو أجرة العامل في اليوم.

لصاحِبِ الفُندُقِ، وقالَ لهُ: اعتَنِ بهِ، ومَهما أنفَقتَ أكثَرَ فعِندَ رُجوعي أوفيكَ. فأيَّ هؤُلاءِ الثَّلاثَةِ ترَى صارَ قريبًا للّذي وقَعَ بَينَ اللُّصوصِ؟». فقالَ: «الّذي صَنَعَ معهُ الرَّحمَةَ». فقالَ لهُ يَسوعُ: «اذهَبْ أنتَ أيضًا واصنَعْ هكذا».

بجانب استخدام الرب يسوع للأمثال، فقد قدم تعليمه أيضًا للجموع بأسلوب مباشر، كما هو الحال في الموعظة على الجبل.

ولَمّا رأى الجُموعَ صَعِدَ إلَى الجَبَلِ، فلَمّا جَلَسَ تقَدَّمَ إليهِ تلاميذُهُ. ففَتَحَ فاهُ وعَلَّمَهُمْ قائلًا:

«طوبَى (بالسعادة) للمَساكينِ بالرّوحِ،
لأنَّ لهُمْ ملكوتَ السماواتِ.
طوبَى للحَزانَى،
لأنَّهُمْ يتعَزَّوْنَ.
طوبَى للوُدَعاءِ،
لأنَّهُمْ يَرِثونَ الأرضَ.
طوبَى للجياعِ والعِطاشِ إلَى البِرِّ،
لأنَّهُمْ يُشبَعونَ.
طوبَى للرُّحَماءِ،
لأنَّهُمْ يُرحَمونَ.
طوبَى للأنقياءِ القَلبِ،
لأنَّهُمْ يُعايِنونَ اللهَ.
طوبَى لصانِعي السَّلامِ،

لأَنَّهُمْ أبناءَ اللهِ يُدعَوْنَ.

طوبَى للمَطرودينَ مِنْ أجلِ البِرِّ،

لأنَّ لهُمْ ملكوتَ السماواتِ.

طوبَى لكُمْ إذا عَيَّروكُمْ وطَرَدوكُمْ وقالوا علَيكُمْ كُلَّ كلِمَةٍ شِرّيرَةٍ، مِنْ أجلي، كاذِبينَ. اِفرَحوا وتَهَلَّلوا، لأنَّ أجرَكُمْ عظيمٌ في السماواتِ، فإنَّهُمْ هكذا طَرَدوا الأنبياءَ الّذينَ قَبلكُمْ.

«أنتُمْ مِلحُ الأرضِ، ولكن إنْ فسدَ المِلحُ فبماذا يُمَلَّحُ؟ لا يَصلُحُ بَعدُ لشَيءٍ، إلّا لأنْ يُطرَحَ خارِجًا ويُداسَ مِنَ النّاسِ. أنتُمْ نورُ العالَمِ. لا يُمكِنُ أنْ تُخفَى مدينةٌ مَوْضوعَةٌ علَى جَبَلٍ، ولا يوقِدونَ سِراجًا ويَضَعونَهُ تحتَ المِكيالِ، بل علَى المَنارَةِ فيُضيءُ لجميع الّذينَ في البَيتِ. فليُضِئْ نورُكُمْ هكذا قُدّامَ النّاسِ، لكَيْ يَرَوْا أعمالكُمُ الحَسَنةَ، ويُمَجِّدوا أباكُمُ الّذي في السماواتِ.

«ومَتَى صَلَّيتَ فلا تكُنْ كالمُرائينَ، فإنَّهُمْ يُحِبّونَ أنْ يُصَلّوا قائمينَ في المجامعِ وفي زَوايا الشَّوارعِ، لكَيْ يَظهَروا للنّاسِ. الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنهُم قد استَوْفَوْا أجرَهُمْ! وأمّا أنتَ فمَتَى صَلَّيتَ فادخُلْ إلَى مِخدَعِكَ وأغلِقْ بابَكَ، وصَلِّ إلَى أبيكَ الّذي في الخَفاءِ. فأبوكَ الّذي يَرَى في الخَفاءِ يُجازيكَ عَلانيَةً. وحينَما تُصَلّونَ لا تُكَرِّروا الكلامَ باطِلًا كالأُمَمِ، فإنَّهُمْ يَظُنّونَ أنَّهُ بكَثرَةِ كلامِهِمْ يُستَجابُ لهُمْ. فلا تتَشَبَّهوا بهِمْ. لأنَّ أباكُمْ يَعلَمُ ما تحتاجونَ إليهِ قَبلَ أنْ تسألوهُ.

«فصَلّوا أنتُمْ هكذا:

أبانا الّذي في السماواتِ،

ليَتَقَدَّسِ اسمُكَ.

ليأتِ ملكوتُكَ.

لتَكُنْ مَشيئَتُكَ كما في السماءِ كذلكَ علَى الأرضِ.
خُبزَنا كفافَنا أعطِنا اليومَ.
واغفِرْ لنا ذُنوبَنا كما نَغفِرُ نَحنُ أيضًا للمُذنِبينَ إلَينا.
ولا تُدخِلنا في تجرِبَةٍ،
لكن نَجِّنا مِنَ الشِّرّيرِ.
لأنَّ لكَ المُلكَ، والقوَّةَ، والمَجدَ، إلَى الأبدِ. آمينَ.

فإنَّهُ إنْ غَفَرتُمْ للنّاسِ زَلّاتِهِمْ، يَغفِرْ لكُمْ أيضًا أبوكُمُ السماويُّ. وإنْ لَمْ تغفِروا للنّاسِ زَلّاتِهِمْ، لا يَغفِرْ لكُمْ أبوكُمْ أيضًا زَلّاتِكُمْ.

«لا تكنِزوا لكُمْ كُنوزًا علَى الأرضِ حَيثُ يُفسِدُ السّوسُ والصَّدأُ، وحَيثُ يَنقُبُ (يقتحم) السّارِقونَ ويَسرِقونَ. بل اكنِزوا لكُمْ كُنوزًا في السماءِ، حَيثُ لا يُفسِدُ سوسٌ ولا صَدأٌ، وحَيثُ لا يَنقُبُ سارِقونَ ولا يَسرِقونَ، لأنَّهُ حَيثُ يكونُ كنزُكَ هناكَ يكونُ قَلبُكَ أيضًا. سِراجُ الجَسَدِ هو العَينُ، فإنْ كانتْ عَينُكَ بَسيطَةً فجَسَدُكَ كُلُّهُ يكونُ نيِّرًا، وإنْ كانتْ عَينُكَ شِرّيرَةً فجَسَدُكَ كُلُّهُ يكونُ مُظلِمًا، فإنْ كانَ النّورُ الّذي فيكَ ظَلامًا فالظَّلامُ كمْ يكونُ!

«لا يَقدِرُ أحَدٌ أنْ يَخدِمَ سيِّدَينِ، لأنَّهُ إمّا أنْ يُبغِضَ الواحِدَ ويُحِبَّ الآخَرَ، أو يُلازِمَ الواحِدَ ويَحتَقِرَ الآخَرَ. لا تقدِرونَ أنْ تخدِموا اللهَ والمالَ.

«لذلكَ أقولُ لكُمْ: لا تهتَمّوا لحَياتِكُمْ بما تأكُلونَ وبما تشرَبونَ، ولا لأجسادِكُمْ بما تلبَسونَ. أليستِ الحياةُ أفضَلَ مِنَ الطَّعامِ، والجَسَدُ أفضَلَ مِنَ اللِّباسِ؟ أُنظُروا إلَى طُيورِ السماءِ: إنَّها لا تزرَعُ ولا تحصُدُ ولا تجمَعُ إلَى مَخازِنَ، وأبوكُمُ السماويُّ يَقوتُها. ألَستُمْ أنتُمْ بالحَريِّ

أفضَلَ مِنها؟ ومَنْ مِنكُمْ إذا اهتَمَّ يَقدِرُ أنْ يَزيدَ علَى قامَتِهِ ذِراعًا واحِدَةً؟ ولِماذا تهتَمّونَ باللِّباسِ؟ تأمَّلوا زَنابِقَ الحَقلِ كيفَ تنمو! لا تتعَبُ ولا تغزِلُ. ولكن أقولُ لكُمْ: إنَّهُ ولا سُلَيمانُ في كُلِّ مَجدِهِ كانَ يَلبَسُ كواحِدَةٍ مِنها. فإنْ كانَ عُشبُ الحَقلِ الّذي يوجَدُ اليومَ ويُطرَحُ غَدًا في التَّنّورِ (الفرن)، يُلبِسُهُ اللهُ هكذا، أفَليس بالحَريِّ جِدًّا يُلبِسُكُمْ أنتُمْ يا قَليلي الإيمانِ؟ فلا تهتَمّوا قائلينَ: ماذا نأكُلُ؟ أو ماذا نَشرَبُ؟ أو ماذا نَلبَسُ؟ فإنَّ هذِهِ كُلَّها تطلُبُها الأُمَمُ. لأنَّ أباكُمُ السماويَّ يَعلَمُ أنَّكُمْ تحتاجونَ إلَى هذِهِ كُلِّها. لكن اطلُبوا أوَّلًا ملكوتَ اللهِ وبرَّهُ، وهذِهِ كُلُّها تُزادُ لكُمْ. فلا تهتَمّوا للغَدِ، لأنَّ الغَدَ يَهتَمُّ بما لنَفسِهِ. يَكفي اليومَ شَرُّهُ.

«فكُلُّ مَنْ يَسمَعُ أقوالي هذِهِ ويَعمَلُ بها، أُشَبِّهُهُ برَجُلٍ عاقِلٍ، بَنَى بَيتَهُ علَى الصَّخرِ. فنَزَلَ المَطَرُ، وجاءَتِ الأنهارُ، وهَبَّتِ الرّياحُ، ووقَعَتْ علَى ذلكَ البَيتِ فلَمْ يَسقُطْ، لأنَّهُ كانَ مؤَسَّسًا علَى الصَّخرِ. وكُلُّ مَنْ يَسمَعُ أقوالي هذِهِ ولا يَعمَلُ بها، يُشَبَّهُ برَجُلٍ جاهِلٍ، بَنَى بَيتَهُ علَى الرَّملِ. فنَزَلَ المَطَرُ، وجاءَتِ الأنهارُ، وهَبَّتِ الرّياحُ، وصَدَمَتْ ذلكَ البَيتَ فسقَطَ، وكانَ سُقوطُهُ عظيمًا!».

أثرت تعاليم السيد المسيح في الكثيرين وغيّرت حياتهم، ومع ذلك فالتلاميذ وهم أكثر الأشخاص الذين استمعوا إلى أمثاله وعِظاته، مرةً وصلت ثقتهم بالرب يسوع إلى الحافة، أثناء ركوبهم إحدى السفن معه، وذلك عندما هاجت عليهم عاصفة شديدة جدًا.

وقالَ لهُمْ في ذلكَ اليومِ لَمّا كانَ المساءُ: «لنَجتَزْ إلَى العَبرِ (الشاطئ المقابل)». فصَرَفوا الجَمعَ وأخَذوهُ كما كانَ في السَّفينَةِ. وكانتْ معهُ

أيضًا سُفُنٌ أُخرَى صَغيرَةٌ. فحَدَثَ نَوْءُ ريحٍ عظيمٌ، فكانتِ الأمواجُ تضرِبُ إلَى السَّفينَةِ حتَّى صارَتْ تمتَلِئُ. وكانَ هو في المؤَخَّرِ علَى وِسادَةٍ نائمًا. فأيقَظوهُ وقالوا لهُ: «يا مُعَلِّمُ، أما يَهُمُّكَ أنَّنا نَهلِكُ؟». فقامَ وانتَهَرَ الرّيحَ، وقالَ للبحرِ: «اسكُتْ! اِبكَمْ!». فسكَنَتِ الرّيحُ وصارَ هُدوءٌ عظيمٌ. وقالَ لهُمْ: «ما بالُكُمْ خائفينَ هكذا؟ كيفَ لا إيمانَ لكُم؟». فخافوا خَوْفًا عظيمًا، وقالوا بَعضُهُمْ لبَعضٍ: «مَنْ هو هذا؟ فإنَّ الرّيحَ أيضًا والبحرَ يُطيعانِهِ!».

وجاءوا إلَى عَبرِ البحرِ إلَى كورَةِ الجَدَريّينَ. ولَمّا خرجَ مِنَ السَّفينَةِ للوقتِ استَقبَلَهُ مِنَ القُبورِ إنسانٌ بهِ روحٌ نَجِسٌ، كانَ مَسكَنُهُ في القُبورِ، ولَمْ يَقدِرْ أحَدٌ أنْ يَربِطَهُ ولا بسَلاسِلَ، لأنَّهُ قد رُبِطَ كثيرًا بقُيودٍ وسَلاسِلَ فقَطَّعَ السَّلاسِلَ وكسَّرَ القُيودَ، فلَمْ يَقدِرْ أحَدٌ أنْ يُذَلِّلَهُ. وكانَ دائمًا ليلًا ونهارًا في الجِبالِ وفي القُبورِ، يَصيحُ ويُجَرِّحُ نَفسَهُ بالحِجارَةِ.

فلَمّا رأى يَسوعَ مِنْ بَعيدٍ رَكَضَ وسَجَدَ لهُ، وصَرَخَ بصوتٍ عظيمٍ وقالَ: «ما لي ولكَ يا يَسوعُ ابنَ اللهِ العَليِّ؟ أستَحلِفُكَ باللهِ أنْ لا تُعَذِّبَني!». لأنَّهُ قالَ لهُ: «اخرُجْ مِنَ الإنسانِ يا أيُّها الرّوحُ النَّجِسُ». وسألَهُ: «ما اسمُكَ؟». فأجابَ قائلًا: «اسمي لَجِئونُ، لأنَّنا كثيرونَ». وطَلَبَ إليهِ كثيرًا أنْ لا يُرسِلهُمْ إلَى خارِجِ الكورَةِ. وكانَ هناكَ عِندَ الجِبالِ قَطيعٌ كبيرٌ مِنَ الخَنازيرِ يَرعَى، فطَلَبَ إليهِ كُلُّ الشَّياطينِ قائلينَ: «أرسِلنا إلَى الخَنازيرِ لنَدخُلَ فيها». فأذِنَ لهُمْ يَسوعُ للوقتِ. فخرجَتِ الأرواحُ النَّجِسَةُ ودَخَلَتْ في الخَنازيرِ، فاندَفَعَ القَطيعُ مِنْ علَى الجُرفِ (حافة الجبل) إلَى البحرِ. وكانَ نَحوَ ألفَينِ، فاختَنَقَ في البحرِ. وأمّا رُعاةُ الخَنازيرِ فهَرَبوا وأخبَروا في المدينةِ وفي الضِّياعِ (القرى). فخرجوا

لِيَرَوْا ما جَرَى. وجاءوا إلَى يَسوعَ فنَظَروا المَجنونَ الّذي كانَ فيهِ اللَّجِئونُ جالِسًا ولابِسًا وعاقِلًا، فخافوا. فحَدَّثَهُمُ الّذينَ رأوا كيفَ جَرَى للمَجنونِ وعَنِ الخَنازيرِ. فابتَدأوا يَطلُبونَ إليهِ أنْ يَمضيَ مِنْ تُخومِهِمْ. ولَمّا دَخَلَ السَّفينَةَ طَلَبَ إليهِ الّذي كانَ مَجنونًا أنْ يكونَ معهُ، فلَمْ يَدَعهُ يَسوعُ، بل قالَ لهُ: «اذهَبْ إلَى بَيتِكَ وإلَى أهلِكَ، وأخبِرهُمْ كمْ صَنَعَ الرَّبُّ بكَ ورَحِمَكَ». فمَضَى وابتَدأَ يُنادي في العَشرِ المُدُنِ كمْ صَنَعَ بهِ يَسوعُ. فتعَجَّبَ الجميعُ.

ولَمّا اجتازَ يَسوعُ في السَّفينَةِ أيضًا إلَى العَبرِ، اجتَمَعَ إليهِ جَمعٌ كثيرٌ، وكانَ عِندَ البحرِ. وإذا واحِدٌ مِنْ رؤَساءِ المَجمَعِ اسمُهُ يايِرُسُ جاءَ. ولَمّا رآهُ خَرَّ عِندَ قَدَمَيهِ، وطَلَبَ إليهِ كثيرًا قائلًا: «ابنَتي الصَّغيرَةُ علَى آخِرِ نَسَمَةٍ. لَيتَكَ تأتي وتَضَعُ يَدَكَ علَيها لتُشفَى فتحيا!». فمَضَى معهُ وتَبِعَهُ جَمعٌ كثيرٌ وكانوا يَزحَمونَهُ.

وامرأةٌ بنَزفِ دَمٍ منذُ اثنَتَيْ عَشرَةَ سنَةً، وقَدْ تألَّمَتْ كثيرًا مِنْ أطِبّاءَ كثيرينَ، وأنفَقَتْ كُلَّ ما عِندَها ولَمْ تنتَفِعْ شَيئًا، بل صارَتْ إلَى حالٍ أردأَ. لَمّا سمِعَتْ بيَسوعَ، جاءَتْ في الجَمعِ مِنْ وراءُ، ومَسَّتْ ثَوْبَهُ، لأنَّها قالَتْ: «إنْ مَسَستُ ولَوْ ثيابَهُ شُفيتُ». فللوقتِ جَفَّ يَنبوعُ دَمِها، وعَلِمَتْ في جِسمِها أنَّها قد بَرِئَتْ مِنَ الدّاءِ. فللوقتِ التَفَتَ يَسوعُ بَينَ الجَمعِ شاعِرًا في نَفسِهِ بالقوَّةِ الّتي خرجَتْ مِنهُ، وقالَ: «مَنْ لَمَسَ ثيابي؟». فقالَ لهُ تلاميذُهُ: «أنتَ تنظُرُ الجَمعَ يَزحَمُكَ، وتَقولُ: مَنْ لَمَسَني؟». وكانَ يَنظُرُ حَوْلهُ ليَرَى الّتي فعَلَتْ هذا. وأمّا المَرأةُ فجاءَتْ وهي خائفَةٌ ومُرتَعِدَةٌ، عالِمَةً بما حَصَلَ لها، فخَرَّتْ وقالَتْ لهُ الحَقَّ كُلَّهُ. فقالَ لها: «يا ابنَةُ، إيمانُكِ قد شَفاكِ، اذهَبي بسَلامٍ وكوني صَحيحَةً مِنْ دائكِ».

وبَينَما هو يتَكلَّمُ جاءوا مِنْ دارِ رَئيسِ المَجمَعِ قائلينَ: «ابنَتُكَ ماتَتْ. لماذا تُتعِبُ المُعَلِّمَ بَعدُ؟». فسمِعَ يَسوعُ لوقتِهِ الكلِمَةَ الّتي قيلَتْ، فقالَ لرَئيسِ المَجمَعِ: «لا تخَفْ! آمِنْ فقط». ولَمْ يَدَعْ أحَدًا يتبَعُهُ إلّا بُطرُسَ ويعقوبَ، ويوحَنا أخا يعقوبَ. فجاءَ إلَى بَيتِ رَئيسِ المَجمَعِ ورأى ضَجيجًا. يَبكونَ ويوَلوِلونَ كثيرًا. فدَخَلَ وقالَ لهُمْ: «لماذا تضِجّونَ وتَبكونَ؟ لَمْ تمُتِ الصَّبيَّةُ لكنها نائمَةٌ». فضَحِكوا علَيهِ. أمّا هو فأخرَجَ الجميعَ، وأخَذَ أبا الصَّبيَّةِ وأُمَّها والّذينَ معهُ ودَخَلَ حَيثُ كانتِ الصَّبيَّةُ مُضطَجِعَةً، وأمسَكَ بيَدِ الصَّبيَّةِ وقالَ لها: «طَليثا، قومي!». الّذي تفسيرُهُ: يا صَبيَّةُ، لكِ أقولُ: قومي! ولِلوقتِ قامَتِ الصَّبيَّةُ ومَشَتْ، لأنَّها كانتِ ابنَةَ اثنَتَيْ عَشرَةَ سنَةً. فبُهِتوا بَهتًا عظيمًا. فأوصاهُمْ كثيرًا أنْ لا يَعلَمَ أحَدٌ بذلكَ. وقالَ أنْ تُعطَى لتأكُلَ.

وفيما يَسوعُ مُجتازٌ مِنْ هناكَ، تبِعَهُ أعمَيانِ يَصرُخانِ ويقولانِ: «ارحَمنا يا ابنَ داوُدَ!». ولَمّا جاءَ إلَى البَيتِ تقَدَّمَ إليهِ الأعمَيانِ، فقالَ لهُما يَسوعُ: «أتؤمِنانِ أنّي أقدِرُ أنْ أفعَلَ هذا؟». قالا لهُ: «نَعَمْ، يا سيِّدُ!». حينَئذٍ لَمَسَ أعيُنَهُما قائلًا: «بحَسَبِ إيمانِكُما ليَكُنْ لكُما». فانفَتَحَتْ أعيُنُهُما. فانتَهَرَهُما يَسوعُ قائلًا: «انظُرا، لا يَعلَمْ أحَدٌ!». ولكنهُما خرجا وأشاعاهُ في تِلكَ الأرضِ كُلِّها.

وفيما هُما خارِجانِ، إذا إنسانٌ أخرَسُ مَجنونٌ قَدَّموهُ إليهِ. فلَمّا أُخرِجَ الشَّيطانُ تكلَّمَ الأخرَسُ، فتعَجَّبَ الجُموعُ قائلينَ: «لَمْ يَظهَرْ قَطُّ مِثلُ هذا في إسرائيلَ!». أمّا الفَرّيسيّونَ فقالوا: «برَئيسِ الشَّياطينِ يُخرِجُ الشَّياطينَ!».

أرسل الرب يسوع أقرب التابعين له وهم تلاميذه الاثني عشر، ليكرزوا ويبشروا بأن ملكوت الله قد أتى، وأعطاهم سلطانًا أن

يشفوا الناس من أمراضهم الجسدية ومن سيطرة الأرواح النجسة. هذه المجموعة الأولى من المبشرين، أُرسلَت بدون أي طعام ولا كسوة، لكي يتعلموا قوة الإيمان والصلاة. ولقد أجرى الله العديد من المعجزات على أيديهم، مما أعطاهم شهرة متزايدة. وقد سمع مسئول رسمي كبير تقارير عن خدمتهم، يبدو أنها اصطدمت مع ضميره المذنب.

فسمِعَ هيرودُسُ المَلِكُ، لأنَّ اسمَهُ (يسوع) صارَ مَشهورًا. وقالَ: «إنَّ يوحَنا المَعمَدانَ قامَ مِنَ الأمواتِ ولِذلكَ تُعمَلُ بهِ القوّاتُ». قالَ آخَرونَ: «إنَّهُ إيليّا». وقالَ آخَرونَ: «إنَّهُ نَبيٌّ أو كأحَدِ الأنبياءِ». ولكن لَمّا سمِعَ هيرودُسُ قالَ: «هذا هو يوحَنا الّذي قَطَعتُ أنا رأسَهُ. إنَّهُ قامَ مِنَ الأمواتِ!».

لأنَّ هيرودُسَ نَفسَهُ كانَ قد أرسَلَ وأمسَكَ يوحَنا وأوثَقَهُ في السِّجنِ مِنْ أجلِ هيروديّا امرأةِ فيلُبُّسَ أخيهِ، إذ كانَ قد تزَوَّجَ بها. لأنَّ يوحَنا كانَ يقولُ لهيرودُسَ: «لا يَحِلُّ أنْ تكونَ لكَ امرأةُ أخيكَ». فحَنِقَتْ (غضبت بشدة) هيروديّا علَيهِ، وأرادَتْ أنْ تقتُلَهُ ولَمْ تقدِرْ، لأنَّ هيرودُسَ كانَ يَهابُ يوحَنا عالِمًا أنَّهُ رَجُلٌ بارٌّ وقِدّيسٌ، وكانَ يَحفَظُهُ (يحميه). وإذ سمِعَهُ، فعَلَ (اضطرب) كثيرًا، وسَمِعَهُ بسُرورٍ. وإذ كانَ يومٌ موافِقٌ (فرصة)، لَمّا صَنَعَ هيرودُسُ في مَوْلِدِهِ عَشاءً لعُظَمائهِ وقوّادِ الأُلوفِ ووُجوهِ (كبار الشخصيات) الجَليلِ، دَخَلَتِ ابنَةُ هيروديّا ورَقَصَتْ، فسرَّتْ هيرودُسَ والمُتَّكِئينَ معهُ. فقالَ المَلِكُ للصَّبيَّةِ: «مَهما أرَدتِ اطلُبي مِنّي فأُعطيَكِ». وأقسَمَ لها أنْ: «مَهما طَلَبتِ مِنّي لأُعطيَنَّكِ حتَّى نِصفَ مَملكَتي». فخرجَتْ وقالَتْ لأُمِّها: «ماذا أطلُبُ؟». فقالَتْ: «رأسَ يوحَنا المَعمَدانِ». فدَخَلَتْ للوقتِ بسُرعَةٍ إلَى المَلِكِ وطَلَبَتْ قائلَةً:

«أُريدُ أنْ تُعطيَني حالًا رأسَ يوحَنا المَعمَدانِ علَى طَبَقٍ». فحَزِنَ المَلِكُ جِدًّا. ولأجلِ الأقسامِ والمُتَّكِئينَ لَمْ يُرِدْ أنْ يَرُدَّها. فللوقتِ أرسَلَ المَلِكُ سيّافًا وأمَرَ أنْ يؤتَى برأسِهِ. فمَضَى وقَطَعَ رأسَهُ في السِّجنِ. وأتَى برأسِهِ علَى طَبَقٍ وأعطاهُ للصَّبيَّةِ، والصَّبيَّةُ أعطَتهُ لأُمِّها. ولَمّا سمِعَ تلاميذُهُ (تلاميذ يوحنا)، جاءوا ورَفَعوا جُثَّتَهُ ووضَعوها في قَبرٍ.

واجتَمَعَ الرُّسُلُ إلَى يَسوعَ وأخبَروهُ بكُلِّ شَيءٍ، كُلِّ ما فعَلوا وكُلِّ ما عَلَّموا. فقالَ لهُمْ: «تعالَوْا أنتُمْ مُنفَرِدينَ إلَى مَوْضِعٍ خَلاءٍ واستَريحوا قَليلًا». لأنَّ القادِمينَ والذّاهِبينَ كانوا كثيرينَ، ولَمْ تتَيَسَّرْ لهُمْ فُرصَةٌ للأكلِ. فمَضَوْا في السَّفينَةِ إلَى مَوْضِعٍ خَلاءٍ مُنفَرِدينَ. فرآهُمُ الجُموعُ مُنطَلِقينَ، وعَرَفَهُ كثيرونَ. فتراكَضوا إلَى هناكَ مِنْ جميعِ المُدُنِ مُشاةً، وسَبَقوهُم واجتَمَعوا إليهِ. فلَمّا خرجَ يَسوعُ رأى جَمعًا كثيرًا، فتحَنَّنَ علَيهِمْ إذ كانوا كخِرافٍ لا راعيَ لها، فابتَدأَ يُعَلِّمُهُمْ كثيرًا.

وبَعدَ ساعاتٍ كثيرَةٍ تقَدَّمَ إليهِ تلاميذُهُ قائلينَ: «المَوْضِعُ خَلاءٌ والوقتُ مَضَى. اِصرِفهُمْ لكَيْ يَمضوا إلَى الضِّياعِ والقرَى حَوالَينا ويَبتاعوا لهُمْ خُبزًا، لأنْ ليس عِندَهُمْ ما يأكُلونَ». فأجابَ وقالَ لهُمْ: «أعطوهُم أنتُمْ ليأكُلوا». فقالوا لهُ: «أنَمضي ونَبتاعُ خُبزًا بمِئَتَيْ دينارٍ ونُعطيَهُمْ ليأكُلوا؟». فقالَ لهُمْ: «كمْ رَغيفًا عِندَكُمْ؟ اذهَبوا وانظُروا». ولَمّا عَلِموا قالوا: «خَمسَةٌ وسَمَكَتانِ». فأمَرَهُمْ أنْ يَجعَلوا الجميعَ يتَّكِئونَ رِفاقًا (مجموعات) رِفاقًا علَى العُشبِ الأخضَرِ. فاتَّكأوا صُفوفًا صُفوفًا: مِئَةً مِئَةً وخَمسينَ خَمسينَ. فأخَذَ الأرغِفَةَ الخَمسَةَ والسَّمَكَتَينِ، ورَفَعَ نَظَرَهُ نَحوَ السماءِ، وبارَكَ ثُمَّ كسَّرَ الأرغِفَةَ، وأعطَى تلاميذَهُ ليُقَدِّموا إليهِمْ، وقَسَّمَ السَّمَكَتَينِ للجميعِ، فأكلَ الجميعُ وشَبِعوا. ثُمَّ رَفَعوا مِنَ الكِسَرِ اثنَتَيْ عَشرَةَ قُفَّةً مَملوَّةً، ومِنَ

السَّمَكِ. وكانَ الّذينَ أكلوا مِنَ الأرغِفَةِ نَحوَ خَمسَةِ آلافِ رَجُلٍ.

ولِلوقتِ ألزَمَ تلاميذَهُ أنْ يَدخُلوا السَّفينَةَ ويَسبِقوا إلَى العَبرِ، إلَى بَيتِ صَيدا، حتَّى يكونَ قد صَرَفَ الجَمعَ. وبَعدَما ودَّعَهُمْ مَضَى إلَى الجَبَلِ ليُصَلّيَ. ولَمّا صارَ المساءُ كانتِ السَّفينَةُ في وسطِ البحرِ، وهو علَى البَرِّ وحدَهُ. ورآهُمْ مُعَذَّبينَ في الجَذفِ، لأنَّ الرّيحَ كانتْ ضِدَّهُمْ. ونَحوَ الهَزيعِ الرّابعِ مِنَ اللَّيلِ أتاهُمْ ماشيًا علَى البحرِ، وأرادَ أنْ يتَجاوَزَهُمْ. فلَمّا رأوهُ ماشيًا علَى البحرِ ظَنّوهُ خَيالًا، فصَرَخوا. لأنَّ الجميعَ رأوهُ واضطَرَبوا. فللوقتِ كلَّمَهُمْ وقالَ لهُمْ: «ثِقوا! أنا هو. لا تخافوا». فصَعِدَ إليهِمْ إلَى السَّفينَةِ فسكَنَتِ الرّيحُ، فبُهِتوا وتَعَجَّبوا في أنفُسِهِمْ جِدًّا إلَى الغايَةِ، لأنَّهُمْ لَمْ يَفهَموا بالأرغِفَةِ إذ كانتْ قُلوبُهُمْ غَليظَةً. فلَمّا عَبَروا جاءوا إلَى أرضِ جَنّيسارَتَ وأرسَوْا.

ولَمّا خرجوا مِنَ السَّفينَةِ للوقتِ عَرَفوهُ. فطافوا جميعَ تِلكَ الكورَةِ المُحيطَةِ، وابتَدأوا يَحمِلونَ المَرضَى علَى أسِرَّةٍ إلَى حَيثُ سمِعوا أنَّهُ هناكَ. وحَيثُما دَخَلَ إلَى قُرىً أو مُدُنٍ أو ضياعٍ، وضَعوا المَرضَى في الأسواقِ، وطَلَبوا إليهِ أنْ يَلمِسوا ولَوْ هُدبَ (طرف) ثَوْبِهِ. وكُلُّ مَنْ لَمَسَهُ شُفيَ.

وفي الغَدِ لَمّا رأى الجَمعُ الّذينَ كانوا واقِفينَ في عَبرِ البحرِ أنَّهُ لَمْ تكُنْ هناكَ سفينَةٌ أُخرَى سِوَى واحِدَةٍ، وهي تِلكَ الّتي دَخلها تلاميذُهُ، وأنَّ يَسوعَ لَمْ يَدخُلِ السَّفينَةَ مع تلاميذِهِ بل مَضَى تلاميذُهُ وحدَهُمْ. غَيرَ أنَّهُ جاءَتْ سُفُنٌ مِنْ طَبَريَّةَ إلَى قُربِ المَوْضِعِ الّذي أكلوا فيهِ الخُبزَ، إذ شَكَرَ الرَّبُّ. فلَمّا رأى الجَمعُ أنَّ يَسوعَ ليس هو هناكَ ولا تلاميذُهُ، دَخَلوا هُم أيضًا السُّفُنَ وجاءوا إلَى كفرِناحومَ يَطلُبونَ يَسوعَ.

ولَمّا وجَدوهُ في عَبرِ البحرِ، قالوا لهُ: «يا مُعَلِّمُ، مَتَى صِرتَ هنا؟».

أجابَهُمْ يَسوعُ وقالَ: «الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ: أنتُمْ تطلُبونَني ليس لأنَّكُمْ رأيتُمْ آياتٍ، بل لأنَّكُمْ أكلتُمْ مِنَ الخُبزِ فشَبِعتُمْ. اِعمَلوا لا للطَّعامِ البائِدِ (الفاني)، بل للطَّعامِ الباقي للحياةِ الأبديَّةِ الّذي يُعطيكُمُ ابنُ الإنسانِ، لأنَّ هذا اللهُ الآبُ قد خَتَمَهُ (ثبته)». فقالوا لهُ: «ماذا نَفعَلُ حتَّى نَعمَلَ أعمالَ اللهِ؟». أجابَ يَسوعُ وقالَ لهُمْ: «هذا هو عَمَلُ اللهِ: أنْ تؤمِنوا بالّذي هو أرسَلهُ». فقالوا لهُ: «فأيَّةَ آيَةٍ تصنَعُ لنَرَى ونؤمِنَ بكَ؟ ماذا تعمَلُ؟ آباؤُنا أكلوا المَنَّ في البَرّيَّةِ، كما هو مَكتوبٌ: أنَّهُ أعطاهُمْ خُبزًا مِنَ السماءِ ليأكُلوا».

فقالَ لهُمْ يَسوعُ: «الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ: ليس موسَى أعطاكُمُ الخُبزَ مِنَ السماءِ، بل أبي يُعطيكُمُ الخُبزَ الحَقيقيَّ مِنَ السماءِ، لأنَّ خُبزَ اللهِ هو النّازِلُ مِنَ السماءِ الواهِبُ حياةً للعالَمِ». فقالوا لهُ: «يا سيِّدُ، أعطِنا في كُلِّ حينٍ هذا الخُبزَ». فقالَ لهُمْ يَسوعُ: «أنا هو خُبزُ الحياةِ[٢]. مَنْ يُقبِلْ إلَيَّ فلا يَجوعُ، ومَنْ يؤمِنْ بي فلا يَعطَشُ أبدًا.

الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ: مَنْ يؤمِنُ بي فلهُ حياةٌ أبديَّةٌ. أنا هو خُبزُ الحياةِ. آباؤُكُمْ أكلوا المَنَّ في البَرّيَّةِ وماتوا. هذا هو الخُبزُ النّازِلُ مِنَ السماءِ، لكَيْ يأكُلَ مِنهُ الإنسانُ ولا يَموتَ. أنا هو الخُبزُ الحَيُّ الّذي نَزَلَ مِنَ السماءِ. إنْ أكلَ أحَدٌ مِنْ هذا الخُبزِ يَحيا إلَى الأبدِ. والخُبزُ الّذي أنا أُعطي هو جَسَدي الّذي أبذِلُهُ مِنْ أجلِ حياةِ العالَمِ».

فخاصَمَ اليَهودُ بَعضُهُمْ بَعضًا قائلينَ: «كيفَ يَقدِرُ هذا أنْ يُعطيَنا جَسَدَهُ لنأكُلَ؟». فقالَ لهُمْ يَسوعُ: «الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنْ لَمْ تأكُلوا جَسَدَ ابنِ الإنسانِ وتَشرَبوا دَمَهُ، فليس لكُمْ حياةٌ فيكُم. مَنْ يأكُلُ جَسَدي ويَشرَبُ دَمي فلهُ حياةٌ أبديَّةٌ، وأنا أُقيمُهُ في اليومِ الأخيرِ،

---

٢ خبز الحياة: بهذه العبارة أعلن الرب يسوع انه المصدر الحقيقي للشبع والرضا.

لأنَّ جَسَدي مأكلٌ حَقٌّ ودَمي مَشرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يأكُلْ جَسَدي ويَشرَبْ دَمي يَثبُتْ فيَّ وأنا فيهِ. كما أرسَلَني الآبُ الحَيُّ، وأنا حَيٌّ بالآبِ، فمَنْ يأكُلني فهو يَحيا بي. هذا هو الخُبزُ الّذي نَزَلَ مِنَ السماءِ. ليس كما أكلَ آباؤُكُمُ المَنَّ وماتوا. مَنْ يأكُلْ هذا الخُبزَ فإنَّهُ يَحيا إلَى الأبدِ».

مِنْ هذا الوقتِ رَجَعَ كثيرونَ مِنْ تلاميذِهِ إلَى الوَراءِ، ولَمْ يَعودوا يَمشونَ معهُ. فقالَ يَسوعُ لِلاثنَيْ عشَرَ: «ألَعَلَّكُمْ أنتُمْ أيضًا تُريدونَ أنْ تمضوا؟». فأجابَهُ سِمعانُ بُطرُسُ: «يا رَبُّ، إلَى مَنْ نَذهَبُ؟ كلامُ الحياةِ الأبديَّةِ عِندَكَ، ونَحنُ قد آمَنّا وعَرَفنا أنَّكَ أنتَ المَسيحُ ابنُ اللهِ الحَيِّ». أجابَهُمْ يَسوعُ: «أليس أنّي أنا اخترتُكُمْ، الِاثنَيْ عشَرَ؟ وواحِدٌ مِنكُمْ شَيطانٌ!». قالَ عن يَهوذا سِمعانَ الإسخَريوطيِّ، لأنَّ هذا كانَ مُزمِعًا أنْ يُسَلِّمَهُ، وهو واحِدٌ مِنَ الِاثنَيْ عشَرَ.

يتعامل الرب يسوع بطريقة شخصية جدًا. ولأنه أعلن عن ذاته بوضوح، فهو يطلب من أتباعه أن يعرفوه المعرفة الحقيقية. فإن مجرد الاستماع لتعاليمه أو الإعجاب بشخصه لا يكفي. فاتّباع هذا المعلّم يتطلب من تابعيه أن يعرفوه بشكل أعمق، معرفة تُغيّر قلوبهم وسلوكهم وحياتهم. فهو يريد أن يكون هو محور الحياة ومصدر فرحها وسر وجودها، وبينما كان الرب يسوع يكمل خدمته، كان يعلن أكثر فأكثر عن حقيقته وعن سر مجيئه.

٢٥

يسوع، ابن الله

ثُمَّ خرجَ يَسوعُ وتلاميذُهُ إلَى قرَى قَيصَريَّةِ فيلُبُّسَ. وفي الطريقِ سألَ تلاميذَهُ قائلًا لهُمْ: «مَنْ يقولُ النّاسُ إنّي أنا؟». فأجابوا: «يوحَنا المَعمَدانُ. وآخَرونَ: إيليّا. وآخَرونَ: واحِدٌ مِنَ الأنبياءِ». فقالَ لهُمْ: «وأنتُمْ، مَنْ تقولونَ إنّي أنا؟». فأجابَ بُطرُسُ وقالَ لهُ: «أنتَ المَسيحُ!». فانتَهَرَهُمْ كيْ لا يقولوا لأحَدٍ عنهُ.

وابتَدأَ يُعَلِّمُهُمْ أنَّ ابنَ الإنسانِ يَنبَغي أنْ يتألَّمَ كثيرًا، ويُرفَضَ مِنَ الشُّيوخِ ورؤَساءِ الكهنةِ والكتبةِ، ويُقتَلَ، وبَعدَ ثَلاثَةِ أيّامٍ يَقومُ. وقالَ القَوْلَ عَلانيَةً. فأخَذَهُ بُطرُسُ إليهِ وابتَدأَ يَنتَهِرُهُ. فالتَفَتَ وأبصَرَ تلاميذَهُ، فانتَهَرَ بُطرُسَ قائلًا: «اذهَبْ عَنّي يا شَيطانُ! لأنَّكَ لا تهتَمُّ بما للهِ لكن بما للنّاسِ».

ودَعا الجَمعَ مع تلاميذِهِ وقالَ لهُمْ: «مَنْ أرادَ أنْ يأتيَ ورائي فليُنكِرْ نَفسَهُ ويَحمِلْ صَليبَهُ ويَتبَعني. فإنَّ مَنْ أرادَ أنْ يُخَلِّصَ نَفسَهُ يُهلِكُها،

التسلسل الزمني كاملاً صفحة xi

ومَنْ يُهلِكُ نَفسَهُ مِنْ أجلي ومِنْ أجلِ الإنجيلِ[1] فهو يُخَلِّصُها. لأنَّهُ ماذا يَنتَفِعُ الإنسانُ لو رَبِحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نَفسَهُ؟ أو ماذا يُعطي الإنسانُ فِداءً عن نَفسِهِ؟ لأنَّ مَنِ استَحَى (خجل) بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسِقِ الخاطِئِ، فإنَّ ابنَ الإنسانِ يَستَحي بِهِ مَتَى جاءَ بمَجدِ أبيهِ مع المَلائكَةِ القِدّيسينَ».

وبَعدَ سِتَّةِ أيّامٍ أخَذَ يَسوعُ بُطرُسَ ويعقوبَ ويوحَنا أخاهُ وصَعِدَ بِهِمْ إلَى جَبَلٍ عالٍ مُنفَرِدينَ. وتَغَيَّرَتْ هَيئَتُهُ قُدّامَهُمْ، وأضاءَ وجهُهُ كالشَّمسِ، وصارَتْ ثيابُهُ بَيضاءَ كالنّورِ. وإذا موسَى وإيليّا قد ظَهَرا لهُمْ يتَكلَّمانِ معهُ. فجَعَلَ بُطرُسُ يقولُ ليَسوعَ: «يا رَبُّ، جَيِّدٌ أنْ نَكونَ ههنا! فإنْ شِئتَ نَصنَعْ هنا ثَلاثَ مَظالَّ (خيام): لكَ واحِدَةٌ، ولِموسَى واحِدَةٌ، ولإيليّا واحِدَةٌ». وفيما هو يتَكلَّمُ إذا سحابَةٌ نيِّرَةٌ ظَلَّلَتهُمْ، وصوتٌ مِنَ السَّحابَةِ قائلًا: «هذا هو ابني الحَبيبُ الّذي بِهِ سُرِرتُ. لهُ اسمَعوا». ولَمّا سمِعَ التلاميذُ سقَطوا علَى وُجوهِهِمْ وخافوا جِدًّا. فجاءَ يَسوعُ ولَمَسَهُمْ وقالَ: «قوموا، ولا تخافوا». فرَفَعوا أعيُنَهُمْ ولَمْ يَرَوْا أحَدًا إلّا يَسوعَ وحدَهُ.

وفيما هُم نازِلونَ مِنَ الجَبَلِ، أوصاهُمْ أنْ لا يُحَدِّثوا أحَدًا بما أبصَروا، إلّا مَتَى قامَ ابنُ الإنسانِ مِنَ الأمواتِ. فحَفِظوا الكلِمَةَ لأنفُسِهِمْ يتَساءَلونَ: «ما هو القيامُ مِنَ الأمواتِ؟».

ولَمّا جاءَ إلَى التلاميذِ رأى جَمعًا كثيرًا حَوْلَهُمْ وكتَبَةً يُحاوِرونَهُمْ. ولِلوقتِ كُلُّ الجَمعِ لَمّا رأوهُ تحَيَّروا، ورَكَضوا وسَلَّموا علَيهِ.

وخرجوا مِنْ هناكَ واجتازوا الجَليلَ، ولَمْ يُرِدْ أنْ يَعلَمَ أحَدٌ، لأنَّهُ

---

١ الإنجيل: الرسالة بأن يسوع قد جاء لكي يصالح الناس مع الله، وبهذا يستطيع كل شخص أن يقبل عطية الرب وهبته ويدخل في علاقة مباشرة معه، وكلمة الإنجيل هي البشارة المفرحة، أو الأخبار السارة.

كانَ يُعَلِّمُ تلاميذَهُ ويقولُ لهُمْ: «إنَّ ابنَ الإنسانِ يُسَلَّمُ إلَى أيدي النّاسِ فيَقتُلونَهُ. وبَعدَ أنْ يُقتَلَ يَقومُ في اليومِ الثّالِثِ». وأمّا هُم فلَمْ يَفهَموا القَوْلَ، وخافوا أنْ يَسألوهُ.

هل تذكرون الملك داود والملك سليمان؟ كان كل الملوك العظماء في إسرائيل القديمة محاربين، وبناة مدن ورجال سياسة. لذلك كان هناك حيرة لدى معظم الناس فيما يختص بالمسيا المنتظَر، حيث كان اعتقادهم أنه سيكون المُحارب الأعظم، ومخلّص الجميع.

أما بالنسبة للرب يسوع فالأمر الغريب أنهم وجدوه غير مبالٍ بتغيير نظام الحكم، وأن رسالته كانت «أن يفتحوا قلوبهم لله». فهو لم ينشئ مخازن للسلاح، ولم يدرب فريقًا من القوات الخاصة بغرض إسقاط الحكم الروماني.

هذه الرسالة غير المتوقعة، والمصحوبة بإصرار الرب يسوع للتأكيد على التوبة الشخصية الحقيقية، جعل كثيرين من القادة الدينيين في أورشليم يستاؤون. لقد اعتبره بعض الفريسيين أنه يقوم بتعليم الشعب فلسفة خاطئة وخطيرة. وفيما بين المعارضة اليهودية والشعبية المتزايدة من العامة، ذهب الرب يسوع إلى أورشليم للاحتفال بأحد الأعياد اليهودية الكبرى، وهو عيد المظال. واستخدم الرب يسوع العيد كخلفية ليعلن عن سلطانه وهويته ورسالته.

فكانَ اليَهودُ يَطلُبونَهُ في العيدِ، ويقولونَ: «أين ذاكَ؟». وكانَ في الجُموعِ مُناجاةٌ (تهامس) كثيرَةٌ مِنْ نَحوِهِ. بَعضُهُمْ يقولونَ: «إنَّهُ صالِحٌ». وآخَرونَ يقولونَ: «لا، بل يُضِلُّ الشَّعبَ». ولكن لَمْ يَكُنْ أحَدٌ يتَكلَّمُ عنهُ جِهارًا لسَبَبِ الخَوْفِ مِنَ اليَهودِ.

ولَمّا كانَ العيدُ قد انتَصَفَ، صَعِدَ يَسوعُ إلَى الهَيكلِ، وكانَ يُعَلِّمُ. فتعَجَّبَ اليَهودُ قائلينَ: «كيفَ هذا يَعرِفُ الكُتُبَ، وهو لَمْ يتعَلَّم؟».

فقالَ قَوْمٌ مِنْ أهلِ أورُشَليمَ: «أليس هذا هو الّذي يَطلُبونَ أنْ يَقتُلوهُ؟ وها هو يتَكلَّمُ جِهارًا ولا يقولونَ لهُ شَيئًا! أَلَعَلَّ الرّؤَساءَ عَرَفوا يَقينًا أنَّ هذا هو المَسيحُ حَقًّا؟ ولكن هذا نَعلَمُ مِنْ أين هو، وأمّا المَسيحُ فمَتَى جاءَ لا يَعرِفُ أحَدٌ مِنْ أين هو».

فنادَى يَسوعُ وهو يُعَلِّمُ في الهَيكلِ قائلًا: «تعرِفونَني وتَعرِفونَ مِنْ أين أنا، ومِنْ نَفسي لَمْ آتِ، بل الّذي أرسَلَني هو حَقٌّ، الّذي أنتُمْ لَستُمْ تعرِفونَهُ. أنا أعرِفُهُ لأنّي مِنهُ، وهو أرسَلَني». فطَلَبوا أنْ يُمسِكوهُ، ولَمْ يُلقِ أحَدٌ يَدًا علَيهِ، لأنَّ ساعَتَهُ لَمْ تكُنْ قد جاءَتْ بَعدُ. فآمَنَ بهِ كثيرونَ مِنَ الجَمعِ، وقالوا: «أَلَعَلَّ المَسيحَ مَتَى جاءَ يَعمَلُ آياتٍ أكثَرَ مِنْ هذِهِ الّتي عَمِلها هذا؟».

وفي اليومِ الأخيرِ العظيمِ مِنَ العيدِ وقَفَ يَسوعُ ونادَى قائلًا: «إنْ عَطِشَ أحَدٌ فليُقبِلْ إلَيَّ ويَشرَبْ. مَنْ آمَنَ بي، كما قالَ الكِتابُ، تجري مِنْ بَطنِهِ أنهارُ ماءٍ حَيٍّ». قالَ هذا عن الرّوحِ الّذي كانَ المؤمِنونَ بهِ مُزمِعينَ أنْ يَقبَلوهُ، لأنَّ الرّوحَ القُدُسَ لَمْ يَكُنْ قد أُعطيَ بَعدُ، لأنَّ يَسوعَ لَمْ يَكُنْ قد مُجِّدَ بَعدُ. فكثيرونَ مِنَ الجَمعِ لَمّا سمِعوا هذا الكلامَ قالوا: «هذا بالحَقيقَةِ هو النَّبيُّ». آخَرونَ قالوا: «هذا هو المَسيحُ!». وآخَرونَ قالوا: «أَلَعَلَّ المَسيحَ مِنَ الجَليلِ يأتي؟ أَلَمْ يَقُلِ الكِتابُ إنَّهُ مِنْ نَسلِ داوُدَ، ومِنْ بَيتِ لَحمٍ، القريةِ الّتي كانَ داوُدُ فيها، يأتي المَسيحُ؟». فحَدَثَ انشِقاقٌ في الجَمعِ لسَبَبِهِ. وكانَ قَوْمٌ مِنهُمْ يُريدونَ أنْ يُمسِكوهُ، ولكن لَمْ يُلقِ أحَدٌ علَيهِ الأيادِيَ.

عندما كان الرب يسوع يعظ كان يطلق الكثير من التصريحات تجعل الناس تتخذ موقفًا. فهو قال إنه هو النور، في حين كان الناس يعلمون أن الله وحده هو مصدر النور. وقال إنه من فوق، في حين أن الله وحده هو ساكن السماء. وفي نفس الوقت كان الرب يسوع يضع أمامهم اختيارًا واضحًا ومصيريًا: إما أن يؤمنوا به ويعرفوا قوة الله في حياتهم، أو يظلوا في الظلمة الروحية. وهذه الرسالة ستغير كل شيء.

ثُمَّ كلَّمَهُمْ يَسوعُ أيضًا قائلًا: «أنا هو نورُ العالَمِ. مَنْ يتبَعني فلا يَمشي في الظلمَةِ بل يكونُ لهُ نورُ الحياةِ». فقالَ لهُ الفَرّيسيّونَ: «أنتَ تشهَدُ لنَفسِكَ. شَهادَتُكَ لَيسَتْ حَقًّا». أجابَ يَسوعُ وقالَ لهُمْ: «وإنْ كُنتُ أشهَدُ لنَفسي فشَهادَتي حَقٌّ، لأنّي أعلَمُ مِنْ أين أتَيتُ وإلَى أين أذهَبُ. وأمّا أنتُمْ فلا تعلَمونَ مِنْ أين آتي ولا إلَى أين أذهَبُ.

قالَ لهُمْ يَسوعُ أيضًا: «أنا أمضي وسَتَطلُبونَني، وتَموتونَ في خَطيَّتِكُمْ. حَيثُ أمضي أنا لا تقدِرونَ أنتُمْ أنْ تأتوا». فقالَ اليَهودُ: «ألَعَلَّهُ يَقتُلُ نَفسَهُ حتَّى يقولُ: حَيثُ أمضي أنا لا تقدِرونَ أنتُمْ أنْ تأتوا؟». فقالَ لهُمْ: «أنتُمْ مِنْ أسفَلُ، أمّا أنا فمِنْ فوقُ. أنتُمْ مِنْ هذا العالَمِ، أمّا أنا فلَستُ مِنْ هذا العالَمِ. فقُلتُ لكُمْ: إنَّكُمْ تموتونَ في خطاياكُمْ، لأنَّكُمْ إنْ لَمْ تؤمِنوا أنّي أنا هو تموتونَ في خطاياكُمْ».

وبَينَما هو يتَكلَّمُ بهذا آمَنَ بهِ كثيرونَ. فقالَ يَسوعُ لليَهودِ الّذينَ آمَنوا بهِ: «إنَّكُمْ إنْ ثَبَتُّمْ في كلامي فبالحَقيقَةِ تكونونَ تلاميذي، وتَعرِفونَ الحَقَّ، والحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ».

الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنْ كانَ أحَدٌ يَحفَظُ كلامي فلن يَرَى الموتَ إلَى الأبدِ». فقالَ لهُ اليَهودُ: الآنَ عَلِمنا أنَّ بكَ شَيطانًا. قد ماتَ إبراهيمُ

والأنبياءُ، وأنتَ تقولُ: إنْ كانَ أحَدٌ يَحفَظُ كلامي فلن يَذوقَ الموتَ إلَى الأبدِ. أَلَعَلَّكَ أعظَمُ مِنْ أبينا إبراهيمَ الّذي ماتَ؟ والأنبياءُ ماتوا. مَنْ تجعَلُ نَفسَكَ؟».

أجابَ يَسوعُ: «إنْ كُنتُ أُمَجِّدُ نَفسي فليس مَجدي شَيئًا. أبي هو الّذي يُمَجِّدُني، الّذي تقولونَ أنتُمْ إنَّهُ إلهُكُمْ، ولَستُمْ تعرِفونَهُ. وأمّا أنا فأعرِفُهُ. وإنْ قُلتُ إنّي لَستُ أعرِفُهُ أكونُ مِثلكُمْ كاذِبًا، لكني أعرِفُهُ وأحفَظُ قَوْلهُ. أبوكُمْ إبراهيمُ تهَلَّلَ بأنْ يَرَى يومي فرأى وفَرِحَ». فقالَ لهُ اليَهودُ: «ليس لكَ خَمسونَ سنَةً بَعدُ، أفَرأيتَ إبراهيمَ؟». قالَ لهُمْ يَسوعُ: «الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ: قَبلَ أنْ يكونَ إبراهيمُ أنا كائنٌ». فرَفَعوا حِجارَةً ليَرجُموهُ. أمّا يَسوعُ فاختَفَى وخرجَ مِنَ الهَيكلِ مُجتازًا في وسطِهِمْ ومَضَى هكذا.

قال الرب يسوع للجموع إنه موجود وكائن من قبل أن يُولد إبراهيم، بل موجود منذ الأزل ومن قبل أن يبدأ الزمان. قال أيضًا إنه هو الله، وهنا هاجت الجموع ضده. قد يرى البعض أنه كان يجب على الرب يسوع أن يعطي للقادة الدينيين وقتًا ليهدأوا، ولكنه لم يفعل. لقد كان لديه رغبة عارمة أن يعلن للناس مجد الله. حتى حينما مرض أحد أصدقائه وقارب على الموت، كانت هذه الحادثة بالنسبة للرب يسوع وسيلة أخرى لإعلان قوة الله.

وكانَ إنسانٌ مَريضًا وهو لعازَرُ، مِنْ بَيتِ عنيا مِنْ قريةِ مَريَمَ ومَرثا أُختِها. وكانتْ مَريَمُ، الّتي كانَ لعازَرُ أخوها مَريضًا، هي الّتي دَهَنَتِ الرَّبَّ بطيبٍ، ومَسَحَتْ رِجلَيهِ بشَعرِها. فأرسَلَتِ الأُختانِ إليهِ قائلَتينِ: «يا سيِّدُ، هوذا الّذي تُحِبُّهُ مَريضٌ».

فلَمّا سمِعَ يَسوعُ، قالَ: «هذا المَرَضُ ليسَ للموتِ، بل لأجلِ مَجدِ

اللهِ، ليَتَمَجَّدَ ابنُ اللهِ بهِ». وكانَ يَسوعُ يُحِبُّ مَرثا وأُختَها ولِعازَرَ. فلَمّا سمِعَ أنَّهُ مَريضٌ مَكَثَ حينَئذٍ في المَوْضِعِ الّذي كانَ فيهِ يومَينِ. ثُمَّ بَعدَ ذلكَ قالَ لتلاميذِهِ: «لنَذهَبْ إلَى اليَهوديَّةِ أيضًا». قالَ لهُ التلاميذُ: «يا مُعَلِّمُ، الآنَ كانَ اليَهودُ يَطلُبونَ أنْ يَرجُموكَ، وتَذهَبُ أيضًا إلَى هناكَ». أجابَ يَسوعُ: «أليستْ ساعاتُ النَّهارِ اثنَتَيْ عَشرَةَ؟ إنْ كانَ أحَدٌ يَمشي في النَّهارِ لا يَعثُرُ لأنَّهُ يَنظُرُ نورَ هذا العالَمِ، ولكن إنْ كانَ أحَدٌ يَمشي في اللَّيلِ يَعثُرُ، لأنَّ النّورَ ليس فيهِ».

قالَ هذا، وبَعدَ ذلكَ قالَ لهُمْ: «لعازَرُ حَبيبُنا قد نامَ. لكني أذهَبُ لأوقِظَهُ». فقالَ تلاميذُهُ: «يا سيِّدُ، إنْ كانَ قد نامَ فهو يُشفَى». وكانَ يَسوعُ يقولُ عن موتِهِ، وهُم ظَنّوا أنَّهُ يقولُ عن رُقادِ النَّوْمِ. فقالَ لهُمْ يَسوعُ حينَئذٍ عَلانيَةً: «لعازَرُ ماتَ. وأنا أفرَحُ لأجلِكُمْ إنّي لَمْ أكُنْ هناكَ، لتؤمِنوا. ولكن لنَذهَبْ إليهِ!». فقالَ توما الّذي يُقالُ لهُ التَّوْأمُ للتلاميذِ رُفَقائِهِ: «لنَذهَبْ نَحنُ أيضًا لكَيْ نَموتَ معهُ!».

فلَمّا أتَى يَسوعُ وجَدَ أنَّهُ قد صارَ لهُ أربَعَةُ أيّامٍ في القَبرِ. وكانتْ بَيتُ عنيا قريبَةً مِنْ أورُشَليمَ نَحوَ خَمسَ عَشرَةَ غَلوَةً (حوالي ٢ كم تقريبًا). وكانَ كثيرونَ مِنَ اليَهودِ قد جاءوا إلَى مَرثا ومَريَمَ ليُعَزّوهُما عن أخيهِما. فلَمّا سمِعَتْ مَرثا أنَّ يَسوعَ آتٍ لاقَتهُ، وأمّا مَريَمُ فاستَمَرَّتْ جالِسَةً في البَيتِ. فقالَتْ مَرثا ليَسوعَ: «يا سيِّدُ، لو كُنتَ ههنا لَمْ يَمُتْ أخي! لكني الآنَ أيضًا أعلَمُ أنَّ كُلَّ ما تطلُبُ مِنَ اللهِ يُعطيكَ اللهُ إيّاهُ». قالَ لها يَسوعُ: «سيَقومُ أخوكِ». قالَتْ لهُ مَرثا: «أنا أعلَمُ أنَّهُ سيَقومُ في القيامَةِ، في اليومِ الأخيرِ».

قالَ لها يَسوعُ: «أنا هو القيامَةُ والحياةُ. مَنْ آمَنَ بي ولَوْ ماتَ فسيَحيا، وكُلُّ مَنْ كانَ حَيًّا وآمَنَ بي فلن يَموتَ إلَى الأبدِ. أتؤمِنينَ

بهذا؟». قالَتْ لهُ: «نَعَمْ يا سيِّدُ. أنا قد آمَنتُ أنَّكَ أنتَ المَسيحُ ابنُ اللهِ، الآتي إلَى العالَمِ».

ولَمّا قالَتْ هذا مَضَتْ ودَعَتْ مَريَمَ أُختَها سِرًّا، قائلَةً: «المُعَلِّمُ قد حَضَرَ، وهو يَدعوكِ». أمّا تِلكَ فلَمّا سمِعَتْ قامَتْ سريعًا وجاءَتْ إليهِ. ولَمْ يَكُنْ يَسوعُ قد جاءَ إلَى القريةِ، بل كانَ في المَكانِ الّذي لاقَتهُ فيهِ مَرثا. ثُمَّ إنَّ اليَهودَ الّذينَ كانوا معها في البَيتِ يُعَزّونَها، لَمّا رأوا مَريَمَ قامَتْ عاجِلًا وخرجَتْ، تبِعوها قائلينَ: «إنَّها تذهَبُ إلَى القَبرِ لتَبكيَ هناكَ». فمَريَمُ لَمّا أتَتْ إلَى حَيثُ كانَ يَسوعُ ورأتهُ، خَرَّتْ عِندَ رِجلَيهِ قائلَةً لهُ: «يا سيِّدُ، لو كُنتَ ههنا لَمْ يَمُتْ أخي!». فلَمّا رآها يَسوعُ تبكي، واليَهودُ الّذينَ جاءوا معها يَبكونَ، انزَعَجَ بالرّوحِ واضطَرَبَ، وقالَ: «أين وضَعتُموهُ؟». قالوا لهُ: «يا سيِّدُ، تعالَ وانظُرْ». بَكَى يَسوعُ. فقالَ اليَهودُ: «انظُروا كيفَ كانَ يُحِبُّهُ!». وقالَ بَعضٌ مِنهُمْ: «ألَمْ يَقدِرْ هذا الّذي فتحَ عَينَيِ الأعمَى أنْ يَجعَلَ هذا أيضًا لا يَموتُ؟».

فانزَعَجَ يَسوعُ أيضًا في نَفسِهِ وجاءَ إلَى القَبرِ، وكانَ مَغارَةً وقَدْ وُضِعَ علَيهِ حَجَرٌ. قالَ يَسوعُ: «ارفَعوا الحَجَرَ!». قالَتْ لهُ مَرثا، أُختُ المَيتِ: «يا سيِّدُ، قد أنتَنَ لأنَّ لهُ أربَعَةَ أيّامٍ». قالَ لها يَسوعُ: «ألَمْ أقُلْ لكِ: إنْ آمَنتِ ترَينَ مَجدَ اللهِ؟». فرَفَعوا الحَجَرَ حَيثُ كانَ المَيتُ مَوْضوعًا، ورَفَعَ يَسوعُ عَينَيهِ إلَى فوقُ، وقالَ: «أيُّها الآبُ، أشكُرُكَ لأنَّكَ سمِعتَ لي، وأنا عَلِمتُ أنَّكَ في كُلِّ حينٍ تسمَعُ لي. ولكن لأجلِ هذا الجَمعِ الواقِفِ قُلتُ، ليؤمِنوا أنَّكَ أرسَلتَني». ولَمّا قالَ هذا صَرَخَ بصوتٍ عظيمٍ: «لعازَرُ، هَلُمَّ خارِجًا!». فخرجَ المَيتُ ويَداهُ ورِجلاهُ مَربوطاتٌ بأقمِطَةٍ، ووجهُهُ مَلفوفٌ بمِنديلٍ. فقالَ لهُمْ يَسوعُ: «حُلّوهُ ودَعوهُ يَذهَبْ».

فكثيرونَ مِنَ اليَهودِ الّذينَ جاءوا إلَى مَريَمَ، ونَظَروا ما فعَلَ يَسوعُ،

آمَنوا بِهِ. وأمّا قَوْمٌ مِنهُمْ فمَضَوْا إلَى الفَرّيسيّينَ وقالوا لهُمْ عَمّا فعَلَ يَسوعُ. فجَمَعَ رؤَساءُ الكهنةِ والفَرّيسيّونَ مَجمَعًا وقالوا: «ماذا نَصنَعُ؟ فإنَّ هذا الإنسانَ يَعمَلُ آياتٍ كثيرَةً. إنْ تركناهُ هكذا يؤمِنُ الجميعُ بِهِ، فيأتي الرّومانيّونَ ويأخُذونَ مَوْضِعَنا وأُمَّتَنا». فقالَ لهُمْ واحِدٌ مِنهُمْ، وهو قَيافا، كانَ رَئيسًا للكهنةِ في تِلكَ السَّنَةِ: «أنتُمْ لَستُمْ تعرِفونَ شَيئًا، ولا تُفَكِّرونَ أنَّهُ خَيرٌ لنا أنْ يَموتَ إنسانٌ واحِدٌ عن الشَّعبِ ولا تهلِكَ الأُمَّةُ كُلُّها!». ولَمْ يَقُلْ هذا مِنْ نَفسِهِ، بل إذ كانَ رَئيسًا للكهنةِ في تِلكَ السَّنَةِ، تنَبّأَ أنَّ يَسوعَ مُزمِعٌ أنْ يَموتَ عن الأُمَّةِ، وليس عن الأُمَّةِ فقط، بل ليَجمَعَ أبناءَ اللهِ المُتَفَرِّقينَ إلَى واحِدٍ.

فمِنْ ذلكَ اليومِ تشاوَروا ليَقتُلوهُ.

عادة ما يحاول معظم الناس أن يتجنبوا الوقوع في المشاكل، ولكن الرب يسوع لم يختبئ أو يتفادَ الذين كانوا يخططون لقتله. وكانت أورشليم هي مكان الاحتفال بعيد الفصح. وكان الناس هناك متلهفين لسماع تعاليمه. وحيث إن الوقت قصير، كان على الرب يسوع أن يدخل أورشليم لآخر مرة.

وقَدَّموا إليهِ أولادًا لكَيْ يَلمِسَهُمْ. وأمّا التلاميذُ فانتَهَروا الّذينَ قَدَّموهُم. فلَمّا رأى يَسوعُ ذلكَ اغتاظَ وقالَ لهُمْ: «دَعوا الأولادَ يأتونَ إلَيَّ ولا تمنَعوهُم، لأنَّ لمِثلِ هؤُلاءِ ملكوتَ اللهِ. الحَقَّ أقولُ لكُمْ: مَنْ لا يَقبَلُ ملكوتَ اللهِ مِثلَ ولَدٍ فلن يَدخُلهُ». فاحتَضَنَهُمْ ووضَعَ يَدَيهِ علَيهِمْ وبارَكَهُمْ.

وفيما هو خارِجٌ إلَى الطريقِ، رَكَضَ واحِدٌ وجَثا لهُ وسألهُ: «أيُّها المُعَلِّمُ الصّالِحُ، ماذا أعمَلُ لأرِثَ الحياةَ الأبديَّةَ؟». فقالَ لهُ يَسوعُ:

«لماذا تدعوني صالِحًا؟ ليس أَحَدٌ صالِحًا إلّا واحِدٌ وهو اللهُ. أنتَ تعرفُ الوَصايا: لا تزنِ. لا تقتُلْ. لا تسرِقْ. لا تشهَدْ بالزّورِ. لا تسلُبْ. أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ». فأجابَ وقالَ لهُ: «يا مُعَلِّمُ، هذِهِ كُلُّها حَفِظتُها منذُ حَداثَتي». فنَظَرَ إليهِ يَسوعُ وأَحَبَّهُ، وقالَ لهُ: «يُعوِزُكَ شَيءٌ واحِدٌ: اِذهَبْ بعْ كُلَّ ما لكَ وأعطِ الفقراءَ، فيكونَ لكَ كنزٌ في السماءِ، وتَعالَ اتبَعني حامِلًا الصَّليبَ». فاغتَمَّ علَى القَوْلِ ومَضَى حَزينًا، لأَنَّهُ كانَ ذا أموالٍ كثيرَةٍ.

فنَظَرَ يَسوعُ حَوْلهُ وقالَ لتلاميذِهِ: «ما أعسَرَ دُخولَ ذَوي الأموالِ إلَى ملكوتِ اللهِ!». فتحَيَّرَ التلاميذُ مِنْ كلامِهِ. فأجابَ يَسوعُ أيضًا وقالَ لهُمْ: «يا بَنيَّ، ما أعسَرَ دُخولَ المُتَّكِلينَ علَى الأموالِ إلَى ملكوتِ اللهِ! مُرورُ جَمَلٍ مِنْ ثَقبِ إبرَةٍ أيسَرُ مِنْ أنْ يَدخُلَ غَنيٌّ إلَى ملكوتِ اللهِ». فبُهِتوا إلَى الغايَةِ قائلينَ بَعضُهُمْ لبَعضٍ: «فمَنْ يستطيعُ أنْ يَخلُصَ؟». فنَظَرَ إليهِمْ يَسوعُ وقالَ: «عِندَ النّاسِ غَيرُ مُستَطاعٍ، ولكن ليس عِندَ اللهِ، لأنَّ كُلَّ شَيءٍ مُستَطاعٌ عِندَ اللهِ».

وابتَدأَ بُطرُسُ يقولُ لهُ: «ها نَحنُ قد ترَكنا كُلَّ شَيءٍ وتَبِعناكَ». فأجابَ يَسوعُ وقالَ: «الحَقَّ أقولُ لكُمْ: ليس أَحَدٌ ترَكَ بَيتًا أو إخوَةً أو أَخَواتٍ أو أبًا أو أُمًّا أو امرأةً أو أولادًا أو حُقولًا، لأجلي ولأجلِ الإنجيلِ، إلّا ويأخُذُ مِئَةَ ضِعفٍ الآنَ في هذا الزَّمانِ، بُيوتًا وإخوَةً وأَخَواتٍ وأُمَّهاتٍ وأولادًا وحُقولًا، مع اضطِهاداتٍ، وفي الدَّهرِ الآتي الحياةَ الأبديَّةَ. ولكن كثيرونَ أوَّلونَ يكونونَ آخِرينَ، والآخِرونَ أوَّلينَ».

وكانوا في الطريقِ صاعِدينَ إلَى أورُشَليمَ ويَتقَدَّمُهُمْ يَسوعُ، وكانوا يتَحَيَّرونَ. وفيما هُم يتبَعونَ كانوا يَخافونَ. فأخَذَ الِاثنَيْ عشَرَ أيضًا وابتَدأَ يقولُ لهُمْ عَمّا سيَحدُثُ لهُ: «ها نَحنُ صاعِدونَ إلَى أورُشَليمَ،

وابنُ الإنسانِ يُسَلَّمُ إلَى رؤَساءِ الكهنةِ والكتبةِ، فيَحكُمونَ علَيهِ بالموتِ، ويُسَلِّمونَهُ إلَى الأُمَمِ، فيَهزأونَ بهِ ويَجلِدونَهُ ويَتفُلونَ (يبصقون) علَيهِ ويَقتُلونَهُ، وفي اليومِ الثّالِثِ يَقومُ».

وكانَ فِصحُ اليَهودِ قريبًا. فصَعِدَ كثيرونَ مِنَ الكوَرِ إلَى أورُشَليمَ قَبلَ الفِصحِ ليُطَهِّروا أنفُسَهُمْ. فكانوا يَطلُبونَ يَسوعَ ويقولونَ فيما بَينَهُمْ، وهُم واقِفونَ في الهَيكلِ: «ماذا تظُنّونَ؟ هل هو لا يأتي إلَى العيدِ؟». وكانَ أيضًا رؤَساءُ الكهنةِ والفَرّيسيّونَ قد أصدَروا أمرًا أنَّهُ إنْ عَرَفَ أحَدٌ أين هو فليَدُلَّ علَيهِ، لكَيْ يُمسِكوهُ.

كم مرة طلب الرب يسوع من تلاميذه أن ينتظروا ولا يخبروا الناس عن حقيقة مَن يكون؟ وهذا ما فعلوه. والآن انتهى وقت الانتظار، فعندما دخل الرب يسوع أورشليم ترك الناس يهللون ويفرحون، وهو على علم بما تحمله الأيام القادمة، لكن في هذا اليوم فليفرح وليتهلل هؤلاء الذين أحبوه.

ولَمّا قَرُبوا مِنْ أورُشَليمَ إلَى بَيتِ فاجي وبَيتِ عنيا، عِندَ جَبَلِ الزَّيتونِ، أرسَلَ اثنَينِ مِنْ تلاميذِهِ، وقالَ لهُما: «اذهَبا إلَى القريةِ الّتي أمامَكُما، فللوقتِ وأنتُما داخِلانِ إليها تجِدانِ جَحشًا مَربوطًا لَمْ يَجلِسْ علَيهِ أحَدٌ مِنَ النّاسِ. فحُلّاهُ وأتيا بهِ. وإنْ قالَ لكُما أحَدٌ: لماذا تفعَلانِ هذا؟ فقولا: الرَّبُّ مُحتاجٌ إليهِ. فللوقتِ يُرسِلُهُ إلَى هنا». فمَضَيا ووجَدا الجَحشَ مَربوطًا عِندَ البابِ خارِجًا علَى الطريقِ، فحَلّاهُ. فقالَ لهُما قَومٌ مِنَ القيامِ هناكَ: «ماذا تفعَلانِ، تحُلّانِ الجَحشَ؟». فقالا لهُمْ كما أوصَى يَسوعُ. فترَكوهُما. فأتَيا بالجَحشِ إلَى يَسوعَ، وألقَيا علَيهِ ثيابَهُما فجَلَسَ علَيهِ. وكثيرونَ فرَشوا ثيابَهُمْ

في الطريقِ. وآخَرونَ قَطَعوا أغصانًا مِنَ الشَّجَرِ وفَرَشوها في الطريقِ. والّذينَ تقَدَّموا، والّذينَ تبِعوا كانوا يَصرُخونَ قائلينَ:

«أوصَنّا[٢]! مُبارَكٌ الآتي باسمِ الرَّبِّ!

مُبارَكَةٌ مَملكَةُ أبينا داوُدَ الآتيَةُ باسمِ الرَّبِّ!

أوصَنّا في الأعالي!».

ولَمّا دَخَلَ أورُشَليمَ ارتَجَّتِ المدينةُ كُلُّها قائلَةً: «مَنْ هذا؟». فقالَتِ الجُموعُ: «هذا يَسوعُ النَّبيُّ الّذي مِنْ ناصِرَةِ الجَليلِ».

ودَخَلَ يَسوعُ إلَى هَيكلِ اللهِ وأخرَجَ جميعَ الّذينَ كانوا يَبيعونَ ويَشتَرونَ في الهَيكلِ، وقَلَبَ مَوائدَ الصَّيارِفَةِ (الذين يستبدلون العملات) وكراسيَّ باعَةِ الحَمامِ وقالَ لهُمْ: «مَكتوبٌ: بَيتي بَيتَ الصَّلاةِ يُدعَى. وأنتُمْ جَعَلتُموهُ مَغارَةَ لُصوصٍ!». وتَقَدَّمَ إليهِ عُميٌ وعُرجٌ في الهَيكلِ فشَفاهُمْ. فلَمّا رأى رؤَساءُ الكهنةِ والكتبةِ العَجائبَ الّتي صَنَعَ، والأولادَ يَصرُخونَ في الهَيكلِ ويقولونَ: «أوصَنّا لابنِ داوُدَ!». غَضِبوا وقالوا لهُ: «أتَسمَعُ ما يقولُ هؤُلاءِ؟». فقالَ لهُمْ يَسوعُ: «نَعَمْ! أما قَرأتُمْ قَطُّ: مِنْ أفواهِ الأطفالِ والرُّضَّعِ هَيّأتَ تسبيحًا؟». ثُمَّ ترَكَهُمْ وخرجَ خارِجَ المدينةِ إلَى بَيتِ عنيا وباتَ هناكَ.

قضى الرب يسوع وقتًا طويلاً من أسبوعه الأخير يعلّم في الهيكل. وكان مُعلمو الناموس عادة يعلّمون إما في الهيكل أو في المَجمع. ولكن هذا المُعلّم كان مختلفًا. هذا المعلّم غيّر كل شيء، فقد أظهر لهم أن المسيا، الذي هو أعظم من الملك داود، هو الذي يتحدث إليهم. لم يتكلم أحد من قبل بهذه الطريقة، بقول أدق لم يجرؤ أحد على ذلك.

---

٢ أوصنا: عبارة عبرية معناها «خلصنا»، وأصبحت تستخدم كعلامة على التسبيح والتهليل.

ثُمَّ أجابَ يَسوعُ وقالَ وهو يُعَلِّمُ في الهَيكلِ: «كيفَ يقولُ الكتبةُ إنَّ المَسيحَ ابنُ داوُدَ؟ لأنَّ داوُدَ نَفسَهُ قالَ بالرّوحِ القُدُسِ:

قالَ الرَّبُّ لرَبّي:

اجلِسْ عن يَميني،

حتَّى أضَعَ أعداءَكَ

مَوْطِئًا لقَدَميكَ.

فداوُدُ نَفسُهُ يَدعوهُ رَبًّا. فمِنْ أين هو ابنُهُ؟». وكانَ الجَمعُ الكَثيرُ يَسمَعُهُ بسُرورٍ.

لقد أحب الجموع الرب يسوع، ولكن كراهية قادة اليهود له ازدادت جدًا. وكلما ازدادت الأمور سوءًا كان قلب يسوع باعتباره إنسانًا يضطرب. ولكن يسوع رفض أن يمنعه أي شيء من تنفيذ مشيئة الآب.

الآنَ نَفسي قد اضطَرَبَتْ. وماذا أقولُ: أيُّها الآبُ نَجِّني مِنْ هذِهِ السّاعَةِ؟ ولكن لأجلِ هذا أتَيتُ إلَى هذِهِ السّاعَةِ. أيُّها الآبُ، مَجِّدِ اسمَكَ!». فجاءَ صوتٌ مِنَ السماءِ: «مَجَّدتُ، وأُمَجِّدُ أيضًا!». فالجَمعُ الّذي كانَ واقِفًا وسَمِعَ، قالَ: «قد حَدَثَ رَعدٌ!». وآخَرونَ قالوا: «قد كلَّمَهُ مَلاكٌ!». أجابَ يَسوعُ وقالَ: «ليس مِنْ أجلي صارَ هذا الصَّوْتُ، بل مِنْ أجلِكُمْ. الآنَ دَينونَةُ هذا العالَمِ. الآنَ يُطرَحُ رَئيسُ هذا العالَمِ خارِجًا. وأنا إنِ ارتَفَعتُ عن الأرضِ أجذِبُ إلَيَّ الجميعَ». قالَ هذا مُشيرًا إلَى أيَّةِ ميتَةٍ كانَ مُزمِعًا أنْ يَموتَ.

ومَعَ أنَّهُ كانَ قد صَنَعَ أمامَهُمْ آياتٍ هذا عَدَدُها، لَمْ يؤمِنوا بهِ.

ولكن مع ذلكَ آمَنَ بهِ كثيرونَ مِنَ الرّؤَساءِ أيضًا، غَيرَ أنهُم لسَبَبِ

الفَرّيسيّينَ لَمْ يَعتَرِفوا بِهِ، لئَلّا يَصيروا خارِجَ المَجمَعِ، لأَنَّهُمْ أَحَبّوا مَجدَ النّاسِ أكثَرَ مِنْ مَجدِ اللهِ.

فنادَى يَسوعُ وقالَ: «الّذي يؤمِنُ بي، ليس يؤمِنُ بي بل بالّذي أرسَلَني. والّذي يَراني يَرَى الّذي أرسَلَني. أنا قد جِئتُ نورًا إلَى العالَمِ، حتَّى كُلُّ مَنْ يؤمِنُ بي لا يَمكُثُ في الظلمَةِ. وإنْ سمِعَ أحَدٌ كلامي ولَمْ يؤمِنْ فأنا لا أدينُهُ، لأنّي لَمْ آتِ لأدينَ العالَمَ بل لأُخلِّصَ العالَمَ. مَنْ رَذَلَني ولَمْ يَقبَلْ كلامي فلهُ مَنْ يَدينُهُ. الكلامُ الّذي تكلَّمتُ بِهِ هو يَدينُهُ في اليومِ الأخيرِ، لأنّي لَمْ أتَكلَّمْ مِنْ نَفسي، لكن الآبَ الّذي أرسَلَني هو أعطاني وصيَّةً: ماذا أقولُ وبماذا أتَكلَّمُ. وأنا أعلَمُ أنَّ وصيَّتَهُ هي حياةٌ أبديَّةٌ. فما أتَكلَّمُ أنا بِهِ، فكما قالَ لي الآبُ هكذا أتَكلَّمُ».

وكانَ الفِصحُ وأيّامُ الفَطيرِ بَعدَ يومَينِ. وكانَ رؤَساءُ الكهنةِ والكتبةُ يَطلُبونَ كيفَ يُمسِكونَهُ بمَكرٍ ويَقتُلونَهُ، ولكنهُمْ قالوا: «ليس في العيدِ، لئَلّا يكونَ شَغَبٌ في الشَّعبِ».

وخلف المشهد، وتحت ستار السياسة والمحاكم الدينية، كانت قوى الظلام تنتظر الفرصة المواتية لتضرب ضربتها. هذه القوى الشريرة وجدت ثغرة بين أحد تلاميذ الرب يسوع المقربين. فقد كان جشع هذا التلميذ كافيًا لتعجيل تنفيذ مخطط هذه القوى.

فدَخَلَ الشَّيطانُ في يَهوذا الّذي يُدعَى الإسخَريوطيَّ، وهو مِنْ جُملَةِ الإثنَيْ عشَرَ. فمَضَى وتَكلَّمَ مع رؤَساءِ الكهنةِ وقوّادِ الجُندِ كيفَ يُسَلِّمُهُ إليهِمْ. ففَرِحوا وعاهَدوهُ أنْ يُعطوهُ فِضَّةً. فواعَدَهُمْ. وكانَ يَطلُبُ (يترقب) فُرصَةً ليُسَلِّمَهُ إليهِمْ خِلوًا مِنْ جَمعٍ (بعيدًا عن الجموع).

٢٦

قد أُكمل

وفي اليومِ الأوَّلِ مِنَ الفَطيرِ. حينَ كانوا يَذبَحونَ الفِصحَ (خروف الفصح)، قالَ لهُ تلاميذُهُ: «أين تُريدُ أنْ نَمضيَ ونُعِدَّ لتأكُلَ الفِصحَ؟». فأرسَلَ اثنَينِ مِنْ تلاميذِهِ وقالَ لهُما: «اذهَبا إلَى المدينةِ، فيُلاقيكُما إنسانٌ حامِلٌ جَرَّةَ ماءٍ. اِتبَعاهُ. وحَيثُما يَدخُلْ فقولا لرَبِّ البَيتِ: إنَّ المُعَلِّمَ يقولُ: أين المَنزِلُ حَيثُ آكُلُ الفِصحَ مع تلاميذي؟ فهو يُريكُما عِلِّيَّةً كبيرَةً مَفروشَةً مُعَدَّةً. هناكَ أعِدّا لنا». فخرجَ تِلميذاهُ وأتَيا إلَى المدينةِ، ووجَدا كما قالَ لهُما. فأعَدّا الفِصحَ. ولَمّا كانَ المساءُ جاءَ مع الإثنَيْ عشَرَ.

أمّا يَسوعُ قَبلَ عيدِ الفِصحِ، وهو عالِمٌ أنَّ ساعَتَهُ قد جاءَتْ لِيَنتَقِلَ مِنْ هذا العالَمِ إلَى الآبِ، إذ كانَ قد أحَبَّ خاصَّتَهُ الّذينَ في العالَمِ، أحَبَّهُمْ إلَى المُنتَهَى. فحينَ كانَ العَشاءُ، وقَدْ ألقَى الشَّيطانُ في قَلبِ يَهوذا سِمعانَ الإسخَريوطيِّ أنْ يُسَلِّمَهُ، يَسوعُ وهو عالِمٌ أنَّ الآبَ قد

دَفَعَ كُلَّ شَيءٍ إلَى يَدَيهِ، وأَنَّهُ مِنْ عِندِ اللهِ خرجَ، وإلَى اللهِ يَمضي، قامَ عن العَشاءِ، وخَلَعَ ثيابَهُ، وأخَذَ مِنشَفَةً واتَّزَرَ بها (لفها حول وسطه)، ثُمَّ صَبَّ ماءً في مِغسَلٍ، وابتَدأَ يَغسِلُ أرجُلَ التلاميذِ ويَمسَحُها بالمِنشَفَةِ الّتي كانَ مُتَّزِرًا بها. فجاءَ إلَى سِمعانَ بُطرُسَ. فقالَ لهُ ذاكَ: «يا سيِّدُ، أنتَ تغسِلُ رِجلَيَّ!». أجابَ يَسوعُ وقالَ لهُ: «لَستَ تعلَمُ أنتَ الآنَ ما أنا أصنَعُ، ولكنكَ ستَفهَمُ فيما بَعدُ». قالَ لهُ بُطرُسُ: «لن تغسِلَ رِجلَيَّ أبدًا!». أجابَهُ يَسوعُ: «إنْ كُنتُ لا أغسِلُكَ فليس لكَ مَعي نَصيبٌ». قالَ لهُ سِمعانُ بُطرُسُ: «يا سيِّدُ، ليس رِجلَيَّ فقط بل أيضًا يَدَيَّ ورأسي». قالَ لهُ يَسوعُ: «الّذي قد اغتَسَلَ ليس لهُ حاجَةٌ إلّا إلَى غَسلِ رِجلَيهِ، بل هو طاهِرٌ كُلُّهُ. وأنتُمْ طاهِرونَ ولكن ليس كُلُّكُمْ». لأنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ، لذلكَ قالَ: «لَستُمْ كُلُّكُمْ طاهِرينَ».

فلَمّا كانَ قد غَسَلَ أرجُلَهُمْ وأخَذَ ثيابَهُ واتَّكأَ أيضًا، قالَ لهُمْ: «أتَفهَمونَ ما قد صَنَعتُ بكُم؟ أنتُمْ تدعونَني مُعَلِّمًا وسَيِّدًا، وحَسَنًا تقولونَ، لأنّي أنا كذلكَ. فإنْ كُنتُ وأنا السَّيِّدُ والمُعَلِّمُ قد غَسَلتُ أرجُلَكُمْ، فأنتُمْ يَجِبُ علَيكُمْ أنْ يَغسِلَ بَعضُكُمْ أرجُلَ بَعضٍ، لأنّي أعطَيتُكُمْ مِثالًا، حتَّى كما صَنَعتُ أنا بكُمْ تصنَعونَ أنتُمْ أيضًا. الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنَّهُ ليس عَبدٌ أعظَمَ مِنْ سيِّدِهِ، ولا رَسولٌ أعظَمَ مِنْ مُرسِلِهِ. إنْ عَلِمتُمْ هذا فطوباكُمْ إنْ عَمِلتُموهُ.

لَمّا قالَ يَسوعُ هذا اضطَرَبَ بالرّوحِ، وشَهِدَ وقالَ: «الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنَّ واحِدًا مِنكُمْ سيُسَلِّمُني!». فكانَ التلاميذُ يَنظُرونَ بَعضُهُمْ إلَى بَعضٍ وهُم مُحتارونَ في مَنْ قالَ عنهُ. وكانَ مُتَّكِئًا في حِضنِ يَسوعَ واحِدٌ مِنْ تلاميذِهِ، كانَ يَسوعُ يُحِبُّهُ[1]. فأومأَ (أشار) إليهِ

---

١ كان يسوع يحبه: ربما هو الرسول يوحنا بن زبدي، أحد الاثني عشر.

سِمعانُ بُطرُسُ أنْ يَسألَ مَنْ عَسَى أنْ يكونَ الّذي قالَ عنهُ. فاتَّكأَ ذاكَ علَى صَدرِ يَسوعَ وقالَ لهُ: «يا سيِّدُ، مَنْ هو؟». أجابَ يَسوعُ: «هو ذاكَ الّذي أغمِسُ أنا اللُّقمَةَ وأُعطيهِ!». فغَمَسَ اللُّقمَةَ وأعطاها ليَهوذا سِمعانَ الإسخَريوطيّ. فبَعدَ اللُّقمَةِ دَخَلهُ الشَّيطانُ. فقالَ لهُ يَسوعُ: «ما أنتَ تعمَلُهُ فاعمَلهُ بأكثَرِ سُرعَةٍ». وأمّا هذا فلَمْ يَفهَمْ أحَدٌ مِنَ المُتَّكِئينَ لماذا كلَّمَهُ بهِ، لأنَّ قَوْمًا، إذ كانَ الصُّندوقُ (الأموال) مع يَهوذا، ظَنّوا أنَّ يَسوعَ قالَ لهُ: اشتَرِ ما نَحتاجُ إليهِ للعيدِ، أو أنْ يُعطيَ شَيئًا للفُقَراءِ. فذاكَ لَمّا أخَذَ اللُّقمَةَ خرجَ للوقتِ. وكانَ ليلًا.

بعد انصراف يهوذا، أعطى يسوع لتلاميذه لمحة عمّا سيحدث. وأخبرهم بحقيقة أنه سيتألم ألمًا شديدًا، وسيحمل عقوبة خطايا كل البشر.

وفيما هُم يأكُلونَ، أخَذَ يَسوعُ خُبزًا وبارَكَ وكسَّرَ، وأعطاهُمْ وقالَ: «خُذوا كُلوا، هذا هو جَسَدي». ثُمَّ أخَذَ الكأسَ وشَكَرَ وأعطاهُمْ، فشَرِبوا مِنها كُلُّهُمْ. وقالَ لهُمْ: «هذا هو دَمي الّذي للعَهدِ الجديدِ، الّذي يُسفَكُ مِنْ أجلِ كثيرينَ. الحَقَّ أقولُ لكُمْ: إنّي لا أشرَبُ بَعدُ مِنْ نِتاجِ الكَرمَةِ إلَى ذلكَ اليومِ حينَما أشرَبُهُ جديدًا في ملكوتِ اللهِ».

لقد نبّه الرب يسوع تلاميذه بقوله لهم إنه لن يبقى معهم طويلاً، ولكنه عمل على تهدئة مشاعرهم المضطربة.

«لا تضطَرِبْ قُلوبُكُمْ. أنتُمْ تؤمِنونَ باللهِ فآمِنوا بي. في بَيتِ أبي مَنازِلُ كثيرَةٌ، وإلّا فإنّي كُنتُ قد قُلتُ لكُمْ. أنا أمضي لأُعِدَّ لكُمْ مَكانًا، وإنْ مَضَيتُ وأعدَدتُ لكُمْ مَكانًا آتي أيضًا وآخُذُكُمْ إلَيَّ، حتَّى

حَيثُ أكونُ أنا تكونونَ أنتُمْ أيضًا، وتَعلَمونَ حَيثُ أنا أذهَبُ وتَعلَمونَ الطريقَ».

قالَ لهُ توما: «يا سيِّدُ، لَسنا نَعلَمُ أين تذهَبُ، فكيفَ نَقدِرُ أنْ نَعرِفَ الطريقَ؟». قالَ لهُ يَسوعُ: «أنا هو الطَّريقُ والحَقُّ والحياةُ. ليس أحَدٌ يأتي إلَى الآبِ إلّا بي. لو كنتُم قد عَرَفتُموني لَعَرَفتُمْ أبي أيضًا. ومِنَ الآنَ تعرِفونَهُ وقَدْ رأيتُموهُ».

قالَ لهُ فيلُبُّسُ: «يا سيِّدُ، أرِنا الآبَ وكفانا». قالَ لهُ يَسوعُ: «أنا معكُمْ زَمانًا هذِهِ مُدَّتُهُ ولَمْ تعرِفني يا فيلُبُّسُ! الّذي رآني فقد رأى الآبَ، فكيفَ تقولُ أنتَ: أرِنا الآبَ؟ ألَستَ تؤمِنُ أنّي أنا في الآبِ والآبَ فيَّ؟ الكلامُ الّذي أُكلِّمُكُمْ بِهِ لَستُ أتَكلَّمُ بِهِ مِنْ نَفسي، لكن الآبَ الحالَّ فيَّ هو يَعمَلُ الأعمالَ. صَدِّقوني أنّي في الآبِ والآبَ فيَّ، وإلّا فصَدِّقوني لسَبَبِ الأعمالِ نَفسِها. الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُمْ: مَنْ يؤمِنُ بي فالأعمالُ الّتي أنا أعمَلُها يَعمَلُها هو أيضًا، ويَعمَلُ أعظَمَ مِنها، لأنّي ماضٍ إلَى أبي. ومَهما سألتُمْ باسمي فذلكَ أفعَلُهُ ليَتَمَجَّدَ الآبُ بالِابنِ. إنْ سألتُمْ شَيئًا باسمي فإنّي أفعَلُهُ.

«إنْ كنتُم تُحِبّونَني فاحفَظوا وصاياي، وأنا أطلُبُ مِنَ الآبِ فيُعطيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ ليَمكُثَ معكُمْ إلَى الأبدِ، روحُ الحَقِّ الّذي لا يستطيعُ العالَمُ أنْ يَقبَلَهُ، لأنَّهُ لا يَراهُ ولا يَعرِفُهُ، وأمّا أنتُمْ فتعرِفونَهُ لأنَّهُ ماكِثٌ معكُمْ ويكونُ فيكُم.

«إنَّ لي أُمورًا كثيرَةً أيضًا لأقولَ لكُمْ، ولكن لا تستَطيعونَ أنْ تحتَمِلوا الآنَ. وأمّا مَتَى جاءَ ذاكَ، روحُ الحَقِّ، فهو يُرشِدُكُمْ إلَى جميع الحَقِّ، لأنَّهُ لا يتَكلَّمُ مِنْ نَفسِهِ، بل كُلُّ ما يَسمَعُ يتَكلَّمُ بِهِ، ويُخبِرُكُمْ بأُمورٍ آتيَةٍ.

هوذا تأتي ساعَةٌ، وقَدْ أتَتِ الآنَ، تتفَرَّقونَ فيها كُلُّ واحِدٍ إلَى خاصَّتِهِ، وتَترُكونَني وحدي. وأنا لَستُ وحدي لأنَّ الآبَ مَعي. قد كلَّمتُكُمْ بهذا ليكونَ لكُمْ فيَّ سلامٌ. في العالَمِ سيكونُ لكُمْ ضيقٌ، ولكن ثِقوا: أنا قد غَلَبتُ العالَمَ».

تكلَّمَ يَسوعُ بهذا ورَفَعَ عَينَيهِ نَحوَ السماءِ وقالَ: «أيُّها الآبُ، قد أتَتِ السّاعَةُ. مَجِّدِ ابنَكَ ليُمَجِّدَكَ ابنُكَ أيضًا، إذ أعطَيتَهُ سُلطانًا علَى كُلِّ جَسَدٍ ليُعطيَ حياةً أبديَّةً لكُلِّ مَنْ أعطَيتَهُ. وهذِهِ هي الحياةُ الأبديَّةُ: أنْ يَعرِفوكَ أنتَ الإلهَ الحَقيقيَّ وحدَكَ ويَسوعَ المَسيحَ الّذي أرسَلتَهُ. أنا مَجَّدتُكَ علَى الأرضِ. العَمَلَ الّذي أعطَيتَني لأعمَلَ قد أكمَلتُهُ. والآنَ مَجِّدني أنتَ أيُّها الآبُ عِندَ ذاتِكَ بالمَجدِ الّذي كانَ لي عِندَكَ قَبلَ كونِ العالَمِ.

أيُّها الآبُ أُريدُ أنَّ هؤُلاءِ الّذينَ أعطَيتَني يكونونَ مَعي حَيثُ أكونُ أنا، ليَنظُروا مَجدي الّذي أعطَيتَني، لأنَّكَ أحبَبتَني قَبلَ إنشاءِ العالَمِ. أيُّها الآبُ البارُّ، إنَّ العالَمَ لَمْ يَعرِفكَ، أمّا أنا فعَرَفتُكَ، وهؤُلاءِ عَرَفوا أنَّكَ أنتَ أرسَلتَني. وعَرَّفتُهُمُ اسمَكَ وسأُعَرِّفُهُمْ، ليكونَ فيهِمُ الحُبُّ الّذي أحبَبتَني بِهِ، وأكونَ أنا فيهِمْ».

ثُمَّ سبَّحوا وخرجوا إلَى جَبَلِ الزَّيتونِ.

ربما رنم التلاميذ المزامير من ١١٥ – ١١٨، فبحسب التقليد يتم ترديد هذه المزامير وقت عشاء الفصح. «الرب حنان وصديق وإلهنا رحيم... احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته... مبارك الآتي باسم الرب».

ولكن ما الذي فكر فيه التلاميذ؟ وبماذا شعروا وهم يتبعون الرب يسوع إلى جبل الزيتون؟ ربما يكونون قد ذهبوا إلى هذا المكان عدة

مرات من قبل للصلاة والتحدث معه. لكن الآن الظلام الحالك لعدم القدرة على الفهم والاستيعاب سيأتي ليخيِّم على آمالهم وأحلامهم.

حينَئذٍ قالَ لهُمْ يَسوعُ: «كُلُّكُمْ تشُكّونَ فيَّ في هذِهِ اللَّيلَةِ، لأنَّهُ مَكتوبٌ:

أنّي أضرِبُ الرّاعيَ

فتتَبَدَّدُ خِرافُ الرَّعيَّةِ.

ولكن بَعدَ قيامي أسبِقُكُمْ إلَى الجَليلِ». فأجابَ بُطرُسُ وقالَ لهُ: «وإنْ شَكَّ فيكَ الجميعُ فأنا لا أشُكُّ أبدًا». قالَ لهُ يَسوعُ: «الحَقَّ أقولُ لكَ: إنَّكَ في هذِهِ اللَّيلَةِ قَبلَ أنْ يَصيحَ ديكٌ تُنكِرُني ثَلاثَ مَرّاتٍ». قالَ لهُ بُطرُسُ: «ولَوِ اضطُرِرتُ أنْ أموتَ معكَ لا أُنكِرُكَ!». هكذا قالَ أيضًا جميعُ التلاميذِ.

حينَئذٍ جاءَ معهُمْ يَسوعُ إلَى ضَيعَةٍ (بستان) يُقالُ لها جَثسَيماني، فقالَ للتلاميذِ: «اجلِسوا ههنا حتَّى أمضيَ وأُصَلّيَ هناكَ». ثُمَّ أخَذَ معهُ بُطرُسَ وابنَيْ زَبدي، وابتَدأَ يَحزَنُ ويَكتَئِبُ. فقالَ لهُمْ: «نَفسي حَزينَةٌ جِدًّا حتَّى الموتِ. اُمكُثوا ههنا واسهَروا مَعي». ثُمَّ تقَدَّمَ قَليلًا وخَرَّ علَى وجهِهِ، وكانَ يُصَلّي قائلًا: «يا أبَتاهُ، إنْ أمكَنَ فلتَعبُرْ عَنّي هذِهِ الكأسُ، ولكن ليس كما أُريدُ أنا بل كما تُريدُ أنتَ».

ثُمَّ جاءَ إلَى التلاميذِ فوَجَدَهُمْ نيامًا، فقالَ لبُطرُسَ: «أهكَذا ما قَدَرتُمْ أنْ تسهَروا مَعي ساعَةً واحِدَةً؟ اِسهَروا وصَلّوا لئَلّا تدخُلوا في تجرِبَةٍ. أمّا الرّوحُ فنَشيطٌ وأمّا الجَسَدُ فضَعيفٌ». فمَضَى أيضًا ثانيَةً وصَلَّى قائلًا: «يا أبَتاهُ، إنْ لَمْ يُمكِنْ أنْ تعبُرَ عَنّي هذِهِ الكأسُ إلّا أنْ أشرَبَها، فلتَكُنْ مَشيئَتُكَ».

وظَهَرَ لهُ مَلاكٌ مِنَ السماءِ يُقَوّيهِ. وإذ كانَ في جِهادٍ كانَ يُصَلّي بأشَدِّ لَجاجَةٍ، وصارَ عَرَقُهُ كقَطَراتِ دَمٍ نازِلَةٍ علَى الأرضِ.

ثُمَّ جاءَ فوَجَدَهُمْ أيضًا نيامًا، إذ كانتْ أعيُنُهُمْ ثَقيلَةً. فتَرَكَهُمْ ومَضَى أيضًا وصَلَّى ثالِثَةً قائلًا ذلكَ الكلامَ بعَينِهِ. ثُمَّ جاءَ إلَى تلاميذِهِ وقالَ لهُمْ: «ناموا الآنَ واستَريحوا! هوذا السّاعَةُ قد اقتَرَبَتْ، وابنُ الإنسانِ يُسَلَّمُ إلَى أيدي الخُطاةِ. قوموا نَنطَلِقْ! هوذا الّذي يُسَلِّمُني قد اقتَرَبَ!».

وفيما هو يتَكلَّمُ، إذا يَهوذا أحَدُ الِاثنَيْ عشَرَ قد جاءَ ومَعَهُ جَمعٌ كثيرٌ بسُيوفٍ وعِصيٍّ مِنْ عِندِ رؤَساءِ الكهنةِ وشُيوخِ الشَّعبِ.

فخرجَ يَسوعُ وهو عالِمٌ بكُلِّ ما يأتي علَيهِ، وقالَ لهُمْ: «مَنْ تطلُبونَ؟». أجابوهُ: «يَسوعَ النّاصِريَّ». قالَ لهُمْ يَسوعُ: «أنا هو». وكانَ يَهوذا مُسَلِّمُهُ أيضًا واقِفًا معهُمْ. فلَمّا قالَ لهُمْ: «إنّي أنا هو»، رَجَعوا إلَى الوَراءِ وسَقَطوا علَى الأرضِ. فسألهُمْ أيضًا: «مَنْ تطلُبونَ؟». فقالوا: «يَسوعَ النّاصِريَّ». أجابَ يَسوع: «قد قُلتُ لكُمْ: إنّي أنا هو. فإنْ كنتُم تطلُبونَني فدَعوا هؤُلاءِ يَذهَبونَ». ليَتِمَّ القَوْلُ الّذي قالهُ: «إنَّ الّذينَ أعطَيتَني لَمْ أُهلِكْ مِنهُمْ أحَدًا».

ثُمَّ إنَّ سِمعانَ بُطرُسَ كانَ معهُ سيفٌ، فاستَلَّهُ وضَرَبَ عَبدَ رَئيسِ الكهنةِ، فقَطَعَ أُذنَهُ اليُمنَى. وكانَ اسمُ العَبدِ مَلخُسَ. فقالَ يَسوعُ لبُطرُسَ: «اجعَلْ سيفَكَ في الغِمدِ (الجراب)! الكأسُ الّتي أعطاني الآبُ ألا أشرَبُها؟».

ولَمَسَ أُذنَهُ وأبرأها. ثُمَّ قالَ يَسوعُ لرؤَساءِ الكهنةِ وقوّادِ جُندِ الهَيكلِ والشُّيوخِ المُقبِلينَ علَيهِ: «كأنَّهُ علَى لصٍّ خرجتُمْ بسُيوفٍ وعِصيٍّ! إذ كُنتُ معكُمْ كُلَّ يومٍ في الهَيكلِ لَمْ تمُدّوا علَيَّ الأيادِيَ. ولكن هذِهِ ساعَتكُمْ وسُلطانُ الظلمَةِ».

جاء جنود السلطات الدينية اليهودية ليقبضوا على الرب يسوع، فسلّم إليهم نفسه دون مقاومة، رغم أنه كان قادرًا على إسقاطهم بكلمة واحدة، إذ له السلطان لاستدعاء جيش من الملائكة لينقذه، ولكنه طواعية استسلم بسهولة. وعرف التلاميذ أن أمرًا مُريعًا يحدث، لذلك هربوا بسرعة لينجوا بأنفسهم، وتركوا يسوع وحده مع الجنود.

والّذينَ أمسَكوا يَسوعَ مَضَوْا بهِ إلَى قَيافا رَئيسِ الكهنةِ، حَيثُ اجتَمَعَ الكتبةُ والشُّيوخُ. وأمّا بُطرُسُ فتبِعَهُ مِنْ بَعيدٍ إلَى دارِ رَئيسِ الكهنةِ، فدَخَلَ إلَى داخِلٍ وجَلَسَ بَينَ الخُدّامِ ليَنظُرَ النِّهايَةَ. وكانَ رؤَساءُ الكهنةِ والشُّيوخُ والمَجمَعُ كُلُّهُ يَطلُبونَ شَهادَةَ زورٍ علَى يَسوعَ لكَيْ يَقتُلوهُ، فلَمْ يَجِدوا. ومَعَ أنَّهُ جاءَ شُهودُ زورٍ كثيرونَ، لَمْ يَجِدوا. ولكن أخيرًا تقَدَّمَ شاهِدا زورٍ وقالا: «هذا قالَ: إنّي أقدِرُ أنْ أنقُضَ هَيكلَ اللهِ، وفي ثَلاثَةِ أيّامٍ أبنيهِ».

فقامَ رَئيسُ الكهنةِ وقال لهُ: «أما تُجيبُ بشَيءٍ؟ ماذا يَشهَدُ بهِ هذانِ علَيكَ؟». وأمّا يَسوعُ فكانَ ساكِتًا. فأجابَ رَئيسُ الكهنةِ وقالَ لهُ: «أستَحلِفُكَ باللهِ الحَيِّ أنْ تقولَ لنا: هل أنتَ المَسيحُ ابنُ اللهِ؟». قالَ لهُ يَسوعُ: «أنتَ قُلتَ! وأيضًا أقولُ لكُمْ: مِنَ الآنَ تُبصِرونَ ابنَ الإنسانِ جالِسًا عن يَمينِ القوَّةِ، وآتيًا علَى سحابِ السماءِ». فمَزَّقَ رَئيسُ الكهنةِ حينَئذٍ ثيابَهُ قائلًا: «قد جَدَّفَ! (وجّه إهانة إلى الله) ما حاجَتُنا بَعدُ إلَى شُهودٍ؟ ها قد سمِعتُمْ تجديفَهُ! ماذا ترَوْنَ؟». فأجابوا وقالوا: «إنَّهُ مُستَوْجِبُ الموتِ». حينَئذٍ بَصَقوا في وجهِهِ ولكَموهُ، وآخَرونَ لَطَموهُ قائلينَ: «تنَبَّأْ لنا أيُّها المَسيحُ، مَنْ ضَرَبَكَ؟».

لم يكن بطرس جبانًا أو خوافًا. فرد فعله الطبيعي في المشاكل

كان هو المواجهة وليس الهروب. لذلك كان من الطبيعي أن نجده يتبع الجنود الذين قبضوا على الرب يسوع إلى أن وصلوا إلى دار رئيس الكهنة، حيث انتظر ليعرف النتيجة. وبينما كان بطرس يتمنى أن تتبدل الأمور إلى الأحسن، فاجأه بعض الناس.

ولَمّا أضرَموا (أشعلوا) نارًا في وسطِ الدّارِ (في الساحة الخارجية) وجَلَسوا مَعًا، جَلَسَ بُطرُسُ بَينَهُمْ. فرأتهُ جاريَةٌ جالِسًا عِندَ النّارِ فتفَرَّسَتْ (ثبتت نظرها) فيهِ وقالَتْ: «وهذا كانَ معهُ!». فأنكَرَهُ قائلًا: «لَستُ أعرِفُهُ يا امرأةُ!». وبَعدَ قَليلٍ رآهُ آخَرُ وقالَ: «وأنتَ مِنهُمْ!». فقالَ بُطرُسُ: «يا إنسانُ، لَستُ أنا!». ولَمّا مَضَى نَحوُ ساعَةٍ واحِدَةٍ أكَّدَ آخَرُ قائلًا: «بالحَقِّ إنَّ هذا أيضًا كانَ معهُ، لأنَّهُ جَليليٌّ أيضًا!». فقالَ بُطرُسُ: «يا إنسانُ، لَستُ أعرِفُ ما تقولُ!». وفي الحالِ بَينَما هو يتَكلَّمُ صاحَ الدّيكُ. فالتَفَتَ الرَّبُّ ونَظَرَ إلَى بُطرُسَ، فتذَكَّرَ بُطرُسُ كلامَ الرَّبِّ، كيفَ قالَ لهُ: «إنَّكَ قَبلَ أنْ يَصيحَ الدّيكُ تُنكِرُني ثَلاثَ مَرّاتٍ». فخرجَ بُطرُسُ إلَى خارِجٍ وبَكَى بُكاءً مُرًّا.

ولَمّا كانَ الصّباحُ تشاوَرَ جميعُ رؤَساءِ الكهنةِ وشُيوخُ الشَّعبِ علَى يَسوعَ حتَّى يَقتُلوهُ، فأوثَقوهُ ومَضَوْا بهِ ودَفَعوهُ (سلموه) إلَى بيلاطُسَ البُنطيِّ الوالي.

حينَئذٍ لَمّا رأى يَهوذا الّذي أسلَمَهُ أنَّهُ قد دينَ، نَدِمَ ورَدَّ الثَّلاثينَ مِنَ الفِضَّةِ إلَى رؤَساءِ الكهنةِ والشُّيوخ قائلًا: «قد أخطأتُ إذ سلَّمتُ دَمًا بَريئًا». فقالوا: «ماذا علَينا؟ أنتَ أبصِرْ! (هذه مسئوليتك)». فطَرَحَ (رمى) الفِضَّةَ في الهَيكلِ وانصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وخَنَقَ نَفسَهُ.

أحضر قادة اليهود يسوع أمام بيلاطس، الحاكم الروماني الذي

كان يحكم منطقة اليهودية منذ ٤ سنوات. وتكشف السجلات التاريخية أنه لم تكن هناك مودّة بين بيلاطس واليهود، لأنه كثيرًا ما كان يأمر جنوده أن يجلدوا ويقتلوا المحتجين عليه من اليهود، ولم يكن يشعر بأي ضجر في أن يسيء إلى قادة اليهود بوضع الأوثان الرومانية في أورشليم.

وفي صباح جمعة أسبوع الفصح، طلب قادة اليهود من بيلاطس أن يحاكم يسوع لاعتباره مثيرًا للشغب. ووجد بيلاطس نفسه في مأزق. فإذا رفض محاكمة الرب يسوع سيتهمه اليهود بأنه يعادي القيصر (وهي تهمة خطيرة)، وإذا وافق أن يصلب يسوع فسيكون هذا ضد حنكته القضائية، والأسوأ أنه سيكون قد خضع لمشيئة هؤلاء الذين يحتقرهم. لذا قرر أن يُعيد استجواب يسوع بنفسه.

ثُمَّ دَخَلَ بيلاطُسُ أيضًا إِلَى دارِ الوِلايَةِ ودَعا يَسوعَ، وقالَ لهُ: «أنتَ مَلِكُ اليَهودِ؟». أجابَهُ يَسوعُ: «أمِنْ ذاتِكَ تقولُ هذا، أم آخَرونَ قالوا لكَ عَنّي؟». أجابَهُ بيلاطُسُ: «ألَعَلّي أنا يَهوديٌّ؟ أُمَّتُكَ ورؤَساءُ الكهنةِ أسلَموكَ إِلَيَّ. ماذا فعَلتَ؟». أجابَ يَسوعُ: «مَملكَتي لَيسَتْ مِنْ هذا العالَمِ. لو كانتْ مَملكَتي مِنْ هذا العالَمِ، لكانَ خُدّامي يُجاهِدونَ لكَيْ لا أُسَلَّمَ إِلَى اليَهودِ. ولكن الآنَ لَيسَتْ مَملكَتي مِنْ هنا». فقالَ لهُ بيلاطُسُ: «أفأنتَ إذًا مَلِكٌ؟». أجابَ يَسوعُ: «أنتَ تقولُ: إنّي مَلِكٌ. لهذا قد وُلِدتُ أنا، ولِهذا قد أتَيتُ إِلَى العالَمِ لأشهَدَ للحَقِّ. كُلُّ مَنْ هو مِنَ الحَقِّ يَسمَعُ صوتي». قالَ لهُ بيلاطُسُ: «ما هو الحَقُّ؟!». ولَمّا قالَ هذا خرجَ أيضًا إِلَى اليَهودِ وقالَ لهُمْ: «أنا لَستُ أجِدُ فيهِ عِلَّةً واحِدَةً. ولكُمْ عادَةٌ أنْ أُطلِقَ لكُمْ واحِدًا في الفِصحِ. أفتُريدونَ أنْ أُطلِقَ لكُمْ مَلِكَ اليَهودِ؟». فصَرَخوا أيضًا جميعُهُمْ قائلينَ: «ليس هذا بل باراباسَ!». وكانَ باراباسُ لصًّا.

فحينَئذٍ أخَذَ بيلاطُسُ يَسوعَ وجَلَدَهُ. وضَفَرَ العَسكَرُ إكليلًا مِنْ شَوْكٍ ووضَعوهُ علَى رأسِهِ، وألبَسوهُ ثَوْبَ أُرجوانٍ، وكانوا يقولونَ: «السَّلامُ يا مَلِكَ اليَهودِ!». وكانوا يَلطِمونَهُ. فخرجَ بيلاطُسُ أيضًا خارِجًا وقالَ لهُمْ: «ها أنا أُخرِجُهُ إلَيكُمْ لتَعلَموا أنّي لَستُ أجِدُ فيهِ عِلَّةً (ذنب) واحِدَةً».

فخرجَ يَسوعُ خارِجًا وهو حامِلٌ إكليلَ الشَّوْكِ وثَوْبَ الأُرجوانِ. فقالَ لهُمْ بيلاطُسُ: «هوذا الإنسانُ!». فلَمّا رآهُ رؤَساءُ الكهنةِ والخُدّامُ صَرَخوا قائلينَ: «اصلِبهُ! اصلِبهُ!». قالَ لهُمْ بيلاطُسُ: «خُذوهُ أنتُمْ واصلِبوهُ، لأنّي لَستُ أجِدُ فيهِ عِلَّةً». أجابَهُ اليَهودُ: «لنا ناموسٌ، وحَسَبَ ناموسِنا يَجِبُ أنْ يَموتَ، لأنَّهُ جَعَلَ نَفسَهُ ابنَ اللهِ».

فلَمّا سمِعَ بيلاطُسُ هذا القَوْلَ ازدادَ خَوْفًا. فدَخَلَ أيضًا إلَى دارِ الوِلايَةِ وقالَ ليَسوعَ: «مِنْ أين أنتَ؟». وأمّا يَسوعُ فلَمْ يُعطِهِ جَوابًا. فقالَ لهُ بيلاطُسُ: «أما تُكلِّمُني؟ ألَستَ تعلَمُ أنَّ لي سُلطانًا (لي سلطة اتخاذ القرار) أنْ أصلِبَكَ وسُلطانًا أنْ أُطلِقَكَ؟». أجابَ يَسوعُ: «لَمْ يَكُنْ لكَ علَيَّ سُلطانٌ البَتَّةَ، لو لَمْ تكُنْ قد أُعطيتَ مِنْ فوقُ. لذلكَ الّذي أسلَمَني إلَيكَ لهُ خَطيَّةٌ أعظَمُ».

مِنْ هذا الوقتِ كانَ بيلاطُسُ يَطلُبُ أنْ يُطلِقَهُ، ولكن اليَهودَ كانوا يَصرُخونَ قائلينَ: «إنْ أطلَقتَ هذا فلَستَ مُحِبًّا لقَيصَرَ. كُلُّ مَنْ يَجعَلُ نَفسَهُ مَلِكًا يُقاوِمُ قَيصَرَ!».

فلَمّا سمِعَ بيلاطُسُ هذا القَوْلَ أخرَجَ يَسوعَ، وجَلَسَ علَى كُرسيِّ الوِلايَةِ في مَوْضِعٍ يُقالُ لهُ «البَلاطُ» وبالعِبرانيَّةِ «جَبّاثا». وكانَ استِعدادُ الفِصحِ، ونَحوَ السّاعَةِ السّادِسَةِ (الثانية عشرة ظهرًا). فقالَ لليَهودِ: «هوذا مَلِكُكُمْ!». فصَرَخوا: «خُذهُ! خُذهُ! اصلِبهُ!». قالَ لهُمْ بيلاطُسُ:

«أأصلِبُ مَلِكَكُم؟». أجابَ رؤَساءُ الكهنةِ: «ليس لنا مَلِكٌ إلّا قَيصَرَ!». فحينَئذٍ أسلَمَهُ إليهِمْ ليُصلَبَ.

وفيما هُم خارِجونَ وجَدوا إنسانًا قَيرَوانيًّا اسمُهُ سِمعانُ، فسخَّروهُ (أجبروه) ليَحمِلَ صَليبَهُ.

كانت عقوبة الصلب التي يستخدمها الرومان قاسية جدًا. حيث كانوا يثبّتون المصلوب على خشبة الصليب، بدق المسامير في يديه وقدميه. وطريقة الموت هذه، كانت موجعة وبطيئة وعلنية، وأصبح أنين المحكوم عليهم مشهدًا متكررًا يراه المارة.

كانت رؤية رعب مشهد الصلب كافٍ لردع فاعلي الشر. لكن يسوع لم يكن يستحق ميتة شنيعة كهذه. إلا أنه بينما هو يبذل نفسه نظر إلى ما هو أبعد من ذلك، إلى خطة الله العظمى للخلاص، والتي تمت من خلال حياته وموته.

ولَمّا مَضَوْا بهِ إلَى المَوْضِعِ الّذي يُدعَى «جُمجُمَةَ» صَلَبوهُ هناكَ مع المُذنِبَينِ، واحِدًا عن يَمينِهِ والآخَرَ عن يَسارِهِ. فقالَ يَسوعُ: «يا أَبَتاهُ، اغفِرْ لهُمْ، لأَنَّهُمْ لا يَعلَمونَ ماذا يَفعَلونَ». وإذ اقتَسَموا ثيابَهُ اقتَرَعوا علَيها.

وكانَ المُجتازونَ يُجَدِّفونَ علَيهِ (يوجهون الإهانات)، وهُم يَهُزّونَ رؤوسهُمْ قائلينَ: «آهِ يا ناقِضَ الهَيكلِ وبانيَهُ في ثَلاثَةِ أيّامٍ! خَلِّصْ نَفسَكَ وانزِلْ عن الصَّليبِ!». وكذلكَ رؤَساءُ الكهنةِ وهُم مُستَهزِئونَ فيما بَينَهُمْ مع الكتبةِ، قالوا: «خَلَّصَ آخَرينَ وأمّا نَفسُهُ فما يَقدِرُ أنْ يُخَلِّصَها! ليَنزِلِ الآنَ المَسيحُ مَلِكُ إسرائيلَ عن الصَّليبِ، لنَرَى ونؤمِنَ!».

وكانَ الشَّعبُ واقِفينَ يَنظُرونَ، والرّؤَساءُ أيضًا معهُمْ يَسخَرونَ بهِ قائلينَ: «خَلَّصَ آخَرينَ، فليُخَلِّصْ نَفسَهُ إنْ كانَ هو المَسيحَ مُختارَ

اللهِ!». والجُندُ أيضًا استَهزأوا بهِ وهُم يأتونَ ويُقَدِّمونَ لهُ خَلًّا، قائلينَ: «إنْ كُنتَ أنتَ مَلِكَ اليَهودِ فخَلِّصْ نَفسَكَ!». وكانَ عُنوانٌ مَكتوبٌ فوقَهُ بأحرُفٍ يونانيَّةٍ ورومانيَّةٍ وعِبرانيَّةٍ: «هذا هو مَلِكُ اليَهودِ».

وكانَ واحِدٌ مِنَ المُذنِبينِ المُعَلَّقينِ يُجَدِّفُ علَيهِ قائلًا: «إنْ كُنتَ أنتَ المَسيحَ، فخَلِّصْ نَفسَكَ وإيّانا!». فأجابَ الآخَرُ وانتَهَرَهُ قائلًا: «أوَلا أنتَ تخافُ اللهَ، إذ أنتَ تحتَ هذا الحُكم بعَينِهِ؟ أمّا نَحنُ فبعَدلٍ، لأنَّنا نَنالُ استِحقاقَ ما فعَلنا، وأمّا هذا فلَمْ يَفعَلْ شَيئًا ليس في مَحَلِّهِ». ثُمَّ قالَ ليَسوعَ: «اذكُرني يا رَبُّ مَتَى جِئتَ في ملكوتِكَ». فقالَ لهُ يَسوعُ: «الحَقَّ أقولُ لكَ: إنَّكَ اليومَ تكونُ مَعي في الفِردَوْسِ».

وكانتْ واقِفاتٍ عِندَ صَليبِ يَسوعَ، أُمُّهُ، وأُختُ أُمِّهِ، مَريَمُ زَوْجَةُ كِلوبا، ومَريَمُ المَجدَليَّةُ. فلَمّا رأى يَسوعُ أُمَّهُ، والتِّلميذَ الّذي كانَ يُحِبُّهُ واقِفًا، قالَ لأُمِّهِ: «يا امرأةُ، هوذا ابنُكِ». ثُمَّ قالَ للتِّلميذِ: «هوذا أُمُّكَ». ومِنْ تِلكَ السّاعَةِ أخَذَها التِّلميذُ إلَى خاصَّتِهِ (إلى منزله).

كان الموت هو المخرج الوحيد لهؤلاء المحكوم عليهم بالصلب. لذلك فإن يسوع طوال ذلك اليوم كان ينتظر الموت المحتوم، ومعه في المشهد اللصين وحشد من المشاهدين. إلا أنّ ألمًا أصعب بكثير كان آتيًا، هذا الألم يفوق آلام المسامير التي في يديه ورجليه، وأقسى من صعوبة التنفس، وأكثر من آلام إكليل الشوك المغروس في جبهته. لقد صب الله الآب عقوبة كل خطايا البشر على ابنه، الأمر الذي ارتعدت منه حتى الطبيعة ذاتها.

وكانَ نَحوُ السّاعَةِ السّادِسَةِ، فكانتْ ظُلمَةٌ علَى الأرضِ كُلِّها إلَى السّاعَةِ التّاسِعَةِ (الثالثة بعد الظهر). وأظلَمَتِ الشَّمسُ، وانشَقَّ حِجابُ الهَيكلِ مِنْ وسطِهِ.

ونَحوَ السّاعَةِ التّاسِعَةِ صَرَخَ يَسوعُ بصوتٍ عظيمٍ قائلًا: «إيلي، إيلي، لَما شَبَقتَني؟» أيْ: إلهي، إلهي، لماذا تركتَني؟ فقَوْمٌ مِنَ الواقِفينَ هناكَ لَمّا سمِعوا قالوا: «إنَّهُ يُنادي إيليّا». ولِلوقتِ رَكَضَ واحِدٌ مِنهُمْ وأخَذَ إسفِنجَةً ومَلأها خَلًّا وجَعَلها علَى قَصَبَةٍ وسَقاهُ. وأمّا الباقونَ فقالوا: «اترُكْ. لنَرَى هل يأتي إيليّا يُخَلِّصُهُ!».

فلَمّا أخَذَ يَسوعُ الخَلَّ قالَ: «قد أُكمِلَ». ونَكَّسَ رأسَهُ وأسلَمَ الرّوحَ.

وإذا حِجابُ الهَيكلِ قد انشَقَّ إلَى اثنَينِ، مِنْ فوقُ إلَى أسفَلُ. والأرضُ تزَلزَلَتْ، والصُّخورُ تشَقَّقَتْ، والقُبورُ تفَتَّحَتْ، وقامَ كثيرٌ مِنْ أجسادِ القِدّيسينَ الرّاقِدينَ وخرجوا مِنَ القُبورِ بَعدَ قيامَتِهِ، ودَخَلوا المدينةَ المُقَدَّسَةَ، وظَهَروا لكَثيرينَ. وأمّا قائدُ المِئَةِ والّذينَ معهُ يَحرُسونَ يَسوعَ فلَمّا رأوا الزَّلزَلَةَ وما كانَ، خافوا جِدًّا وقالوا: «حَقًّا كانَ هذا ابنَ اللهِ!».

وكُلُّ الجُموعِ الّذينَ كانوا مُجتَمِعينَ لهذا المَنظَرِ، لَمّا أبصَروا ما كانَ، رَجَعوا وهُم يَقرَعونَ صُدورَهُمْ (علامة الحزن الشديد). وكانَ جميعُ مَعارِفِهِ، ونِساءٌ كُنَّ قد تبِعنَهُ مِنَ الجَليلِ، واقِفينَ مِنْ بَعيدٍ يَنظُرونَ ذلكَ.

القصة أعظم قصة شهدها التاريخ

تخبرنا **القصة** عن عمل الله العظيم
من أجل إنقاذ وخلاص العالم، **"قصة محبة الله للإنسان"**.
والتي تدور أحداثها في ٣١ فصل شيق وبسيط،
نقرأ فيها أجزاء من الكتاب المقدس
ونتعرف من خلالها على العديد
من الأحداث والشخصيات.

نُسجت أحداث **القصة** في سياق متسلسل ومتكامل
بداية من سفر التكوين وحتى نهاية سفر الرؤيا،
بطريقة عميقة وشيقة مليئة بالمواقف والصراعات
والتحديات والأحداث المؤثرة
التي توجت بفداء الله وخلاصه للبشرية.

القصة، هي قصة حقيقية

دار الكتاب المقدس
The Bible Society of Egypt

9789772304479